إهداء لكل شخصٍ يؤمن بموهبته ويتحدى المستحيل..

إهداء لزوجي وأولادي الذين لولا مساندتهم لي ما خرجَتْ حروفي للنور..

لا شيء اسمه مستحيل أمام الطموح، فأحياناً شدة الألم تكون سبباً في تحقيق الأحلام..

تصحيح لغوي: عبد الحليم جمال

دماء علي ثوب الزفاف.

** عودة للماضي**
جلسَتْ على الكرسي خلف شرفتها، تنظر لنافذة صغيرة في الجهة المقابلة لشقتهم، كم تعشق هذا الكرسي! وكم مرت بها من ذكرياتٍ جميلة في هذا المكان!..لا تجد راحتها سوى به، كلما أرهقتها مشكلة تغمض عيونها؛ لعلها تغفل لبعض الوقت، وتمر الأحداث أمام عيونها كما لو كان فيلماً تشاهده!!

نهى فتاة في الواحد والعشرين من عمرها، في العام النهائي من كلية الإعلام قسم صحافة، تهوى التصوير، بيضاء البشرة، عيونها سوداء... ذات شعر بني يميل إلى الذهبي، ينساب على ظهرها حتى كاد يلامس منتصفه، رشيقة كما لو كانت راقصة باليه...
-نهى! ماذا تفعلين عندك؟
-لا شيء يا أمي، أقف في الشرفة..
الأم بصوت خافت..
لا أعلم ما قصة هذه الشرفة التي تكاد تسكنها!!
تتمتم نهى بصوت خافت..
-إلى أين هو ذاهب في هذا الوقت المتأخر يا ترى؟ لقد تعدى الوقت منتصف الليل! لعله ذاهب إلى الفندق الذي يعمل به.
تسمع صوت أمها مرة ثانية..
-هيا يا نهى، لقد خلد الجميع إلى النوم؛ وراءنا يومٌ طويلٌ غداً.
-حاضر يا أمي.
تعودُ للحديث مع نفسها..
-هل أظل واقفة في الشرفة حتى يعود؟!
تتسائل في حيرة مع نفسها..

-ماذا أفعل؟ أمي سوف تغضب إن استيقظَتْ مره ثانية ووجدتني واقفة هكذا يظهر على وجهها علامات الحيرة وتزم شفتيها..
ثم فجأة! وكأنها وجدت الحل..تنفك عن وجهها علامات العبوس والحيرة..
سوف أقرأ رواية لعل النوم يأتيني..

عيونها زائغةٌ بين كلمات الرواية وبين نافذة غرفته التي تراها وهي جالسة على سريرها من خلف زجاج شرفتها الشفاف، ويسلط عليها ضوء عمود النور الصامد في الشارع، كما لو كان برجاً للمراقبة
لا تزال غرفته مظلمة؛ فلا أرى نوراً خلف نافذته، تُرى أين هو حتى الآن، ولِمَ لمْ يعُدْ؟ لقد أوشك الفجر على الآذان..
غافلها النوم وهي مع هواجس عقلها حتى نامتْ في ثبات.....
صوت رنين المنبه يملأ الغرفة بالضجيج، وأشعة الشمس تداعب وجه الفتاتين على سريريهما..
-نهى نهى! ألازلتي نائمة؟! هيا أفيقي! اليوم يومي، ولا أريد أن يضيع منه لحظة..
-اتركيني؛ مازال الوقت مبكراً يا سعاد.(سعاد أخت نهى تكبرها بثلاثة أعوام)
خمرية البشرة، شعرها أسود، به بعض التجاعيد، ودائماً ما ترفعه لأعلى وتلفه دائرة، نحيفة بعض الشيء، ولكن نحافتها مقبولة وتتماشى مع وجهها، عيونها عكس بشرتها؛ (خضراء) وهذا ما يجعلها مميزة دائما بين قريناتها من الفتيات، أنتهت من دراسة الحقوق، تعمل لدى الأستاذ (محمد أبو اليسر)، وهو المحامي الذي ذاع صيته بين الجميع بأخلاقه وضميره الحي في عمله.
-لا، لن أتركك وراءنا الكثير لنقوم به اليوم.
تسحب سعاد الغطاء عن نهى محاولًة إيقاظها بمداعبة كف رجلها
يرتفع صوت نهى وهي تقول..
-سوف أنهض أيتها المشاكسة.
صوت الضحكات تتعالى في الغرفة بين الأختين، وهما تتبادلان رمي الوسائد في سعادة، وتشاركهما أشعة الشمس التي تداعب عيونهما...
-سأذهب إلى الحمام أولاً.

-حسناً، وأنا سأرتب هذه الفوضى التي أحدثناها في الغرفة قبل أن تراها أمي..
ضحكات ماكرة من الإثنين..ثم تعود نهى مرة ثانية محدثة نفسها..
سأنظر من الشرفة أولاً؛ لعله عاد!
مازالت نافذته مغلقة! ما هذا القلق؟ هل قضى الليل خارج المنزل؟!
منذ أن سكن هذه الشقة منذ عأمين هو ووالدته وأخته لم يحدث هذا!
تُرى أين يكون؟!
فجأة يفتح النافذة، ويطل بوجهه الرقيق المائل للسمرة، وعيونه الحادة السمراء، كما لو كأنت بها تعويذة تجذب له الآنظار، وشعره الأسود القصير بعض الشيء الذي يرفعه لأعلى؛ فيزيد من جمال وجهه، جسده ممشوقٌ رياضي، عابسٌ دائماً كما لو كان يحمل الكثير بداخله ويخشى البوح به..طبيبٌ وله عيادة أسفل شقته يعمل بها ليلاً، يعمل فى إدارة فندق الأستاذ جمال صديق، والده ووالد صديقه المدلل (هاني) أثناء وقت فراغه....لعل عمره لا يتجاوز الثامنة والعشرين، هذا ما كان يظهره وجهه.
تُسرع نهى لتتوارى خلف الستارة حتى لا يراها، وتتنهد تنهيدة من قلبها..
-الحمد لله أنه هنا، ولكن متى عاد؟ لا يهم، الأهم أنه عاد وأسعد صباحي بطَلَتِه..

-ماذا تفعلين؟ أمازلتِ تتلصصين على صاحب الوجه الرقيق؟
قالتها سعاد بينما ترتسم ضحكة ماكرة على وجهها، أما نهى فقد احمر وجهها خجلاً..

-لا، كنت فقط أفتح الشرفة لتهوية الغرفة.
-آه، الغرفة التي قمتِ بترتيب الفوضى بها قبل أن تراها أمنا؟
ضحكات تتعالى من الأختين..
-هل سوف تظلي مشاكسة هكذا؟
-هيا، دعكِ منى وأذهبي إلى الحمام، وأنا سوف أُرتب الغرفة أيتها الفاتنة؛ فأمنا قد أعدت الفطور، ووالدنا أوشك على الآنتهاء من قراءة جريدته...

سمعت سعاد صوت أمها تناديها؛ فلبت نداءها على الفور..
(الأم امرأة في السابعة والأربعين من عمرها، حاصلةٌ على مؤهل متوسط، وهو (دبلوم تجارة) لا تعمل؛ لذلك فهي متفرغة طوال الوقت لأسرتها، قوأمها مملوءٌ بعض الشيء، متوسطة الطول... بشرتها بيضاء شاحبة، شعرها قصير، ودائماً ما تقوم بربطه برباط شعر أنيقٍ في المنزل، ترتدي الحجاب خارج المنزل وعند استقبال الضيوف، صوتها خافت وحنون)
هيا! ارتديَن ملابسكما قبل أن يأتي عمر؛ حتى لا نتأخر على موعدنا.
-حسناً يا أمي.
-أين نهى؟
-إنها في الحمام، لا تقلقي، لن نتأخر إن شاء الله.
الأم تتمتم..
-ليتها تعلم كم أنا قلقه عليها من تعلقها بهذه النافذة، أخشى عليها أن ينفطر قلبها ذات يوم!
تخرج الأم من الغرفة لتسمع صوت زوجها المرتفع؛ فهو منذ أن تقاعد بعد هذه الحادثة، أصبح طبعه حاداً ومتقلب المزاج..

(الزوج هو أستاذ منير، كان محاسباً في البنك، تقاعدا مبكراً، جميع ملامح وجه حادة، يميل للسمرة، متوسط الطول، مملوء الجسد، لا ينزل إلى الشارع إلا قليلا بسبب العجز الذي حدث في رجله)
-هل أنتهيتِ يا أم سعاد من إعداد الفطور؛ فأنا أحتاج إلى فنجان قهوتي؟
-جهزته لك يا أبو سعاد، ولكن الفطور أولاً، أنت تعلم أن الدكتور حذرك من تناول القهوة على الريق..
مداعبه خفيفة منه قائلاً..

-هكذا أنت دائماً يا أم سعاد، لا يشغلك عنى شيء.
نظرة حنونة منها، ولمسة رقيقة على كتفه..
-وكيف يشغلني عنك شيء وأنت لنا كل شيء!؟ بارك الله لنا فيك.
تقاطعهم سعاد..

-إحم إحم نحن هنا!!
ضحكةٌ تقاسمها الزوج وزوجته ثم لمسةٌ حنونة لوجه سعاد من يد أمها..

-أيتها المشاكسة! اليوم فقط هنا، وغداً سوف نفتقد مشاكستك..
حضن بين سعاد وأمها..

-سوف أفتقدكم كثيراً يا أمي.
الجميع يلتف حول المائدة الصغيرة المكونة من ستة كراسي، يحيط بهم نيش صغير، يضعون به بعض الآنتكات البسيطة، وصورهم جميعاً بمراحل أعمارهم المختلفة منذ الطفولة، وحتى الآن تزين حوائط الصالة، وفي الوجه أنتريه مستدير مبطن، تتوسطه منضدة صغيرة للتقديم، وأسفلها سجادة دائرية منحوتة، و بابُ الشقةِ صامدٌ في وجه الآنتريه.
ضحكاتٌ يتبادلها الجميع على الإفطار ثم فجأة تسأل نهى!
-أمي! هل دعوتِ جميع الجيران؟
-نعم، دعوتُ الجميع..
-دعوتِ جيراننا في العمارة فقط أم جميع الجيران في منطقتنا؟

ومسرعة تستطرد..

-أقصد أسر صديقاتي في المنطقة.
سعاد تبادلها نظرة ماكرة من أسفل، بينما نظرت لها أمها نظرة حنونة

-لا يا نهى، دعوْتُ جميع أهل المنطقة؛ فجميعهم سوف يشاركوننا فرحتنا، الجميع سوف يأتي إن شاء الله.
أشرق وجه نهى، وظهرت ملامح السعادة على وجهها؛فحدثت نفسها..
-إذن سوف يأتي الليلة.
سمعوا جميعاً أصوات ضجه في الشارع؛ فتسائل الأب متعجباً..

-ما هذه الاصوات؟
سعاد تهرول نحو الشرفة هي ونهى، ويتهلل وجهاهما في فرحة، إنهم يعلقون الزينة على شرفتنا يا والدي، كم انا سعيدة!
يضحك الأب ويستند على عكازه..
-آتني بفنجان القهوة في الشرفه يا أم سعاد؛ حتى أتابع العمال عن قرب، أتمنى أن يكتمل كل شئ على خير.
ربتت الزوجة على كتفه..
-إن شاء الله سوف تكتمل ويعم الفرح قلوبنا جميعاً
يجلس الزوج على الكرسي في الشرفة وأمامه منضدة مستديرة صغيرة وكرسي آخر، تضع الزوجةُ الفنجان أمامه وتسأله ..
-هل تريد شيء آخر يا أبو سعاد؟
-لا يا أم سعاد، شكراً لكِ.

تستدير وتدخل غرفتها حتى تكمل لبسها.
أما الفتيات فقد عكفن على تنظف المائدة بعد تناول الفطور، وترتيب المطبخ، وكذلك الهرولة إلى غرفتهن كما الأطفال لينتهين من ارتداء ملابسهن..
الأب بصوت مرتفع..
-يا بنات! هل أنتهيتن؟ أرى عربة عمر تقترب في أول الشارع..
(عمر ابن الأستاذ محمد أبو اليسر المحأمي ..في التاسعة والعشرين من عمره، وسيم، مفتول العضلات، يخفي عيونه السوداء دائماً خلف نظارته الشمسية، كما لو كان يأخذ وضع التأهب، شعره أسود كثيف، بشرته بيضاء، طويل القامة، تظهر على ملامحه دائماً علامات الوثوق في النفس، محقق جنائي، معروف عنه شخصيته القوية في عملة، من عائلة ثرية، والده الأستاذ محمد أبو اليسر المحامي.. يقيم في حي راقٍ)
سعاد ترد على والدها في سعادة..
-لقد انتهيْتُ يا أبي.
وتوجه كلأمها لنهى وأمها..
-هيا نحن، فلننزل السلم.
ترتفع ضحكات وقهقهات الجميع، فتقول الأم..
-يا لحظ عمر! إن سعاد تخشى عليه من إرهاق طلوع سلم الدور الثالث.
بسمة سعادة من سعاد..
-وكيف لا أخشى عليه وهو من أسعد قلبي يا أمي!؟
حضن مشترك من الثلاثة وتمنيات مخلصه بالسعادة لهما..
جرس الباب يدق..
تهرول سعاد نحو الباب وتفتحه..
-وحشتيني..
كلمة جعلت قلب سعاد كاد يتوقف من فرط السعادة، وجعلت وجهها يتوهج احمراراً من الخجل
-أنت من وحشتني..
-من بالباب يا سعاد؟
-إنه عمر يا أمي.
يرفع نظارته الشمسية، و يضعها في جيب قميصه الآنيق الزهري ثم يلمس يدها برفق، وينظر في عينيه الخضراوين ويقول...
-هل سوف أظل هكذا على الباب؟
تقاطعهم الأم..

-تفضل يا عمر، ها أنت قد طلعت السلم ولم تنتظر نزولنا، كأنت تخشى عليك سعاد من إرهاق السلالم...
وكيف أنتظركم يا أمي ومازال نبض قلبي لم تكتمل دقاته!؟
ضحكت الأم قائلة..

-إذن طلعت ليكتمل نبض قلبك فقط؟
طبع عمر قبلة رقيقة على جبينها..

-لا يا أمي، بل أيضاً من أجل من أنجبت لي من جعلت لقلبي نبضاً..
-إحم إحم نحن هنا.
-أهلاً يا نهى، سوف نشتاق لكِ.
نظرة تعجب على وجه نهى..
-لمَ يا عمر؟
-لأننا سوف نسافر لقضاء شهر العسل
-إن كان كذلك، فاشتقْ لي كما تشاء أيها المغرمان..
ضحكات من القلب دوت بينهم جميعاً..
-أين عمي؟
-إنه في الشرفة يتابع العمال.
-حسناً، سوف أذهب لأسلم عليه.
-السلام عليكم يا عمي.
وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.
-أهلاً أهلاً بابني الغالي.
-اجلس يابني حتى تجهز الفتيات، أنت تعلم أنهن تأخذْن الكثير من الوقت.
وضحكة يتبادلها الاثنان..
يجلس على الكرسي المقابل..
ثم ينظر فى الشارع ويتسائل
-هل الإضاءة سوف تكون كافيه يا عمي أم أتصل ليحضروا المزيد ؟ وهل الفراشة والفرقة سوف يكونون على المستوى اللائق بضيوفكم وضيوفي؟ أريد أن تكون هذه الليلة كألف ليلة وليلة.
اتفقْتُ معهم أن يقوموا بتعليق الإضاءة حتى أول الشارع، وسوف تكون هناك بوابة كبيره من النور، وسوف يفرشون من أول البوابة حتى أول المسرح سجادة حمراء، كما البساط الأحمر في حفلات أوسكار وسوف....
يقاطعه والد سعاد بضحكة عالية
-تمهل يابني، لمَ كل هذا القلق؟

ضحكة من عمر..
-لقد رفضتم عمل الزفاف في فندق حتى يشارككم أهل المنطقة فرحتكم، ولكن في الفندق يكون كل شيء مجهزاً، ومعد له سابقاً، ويكون أمان، وإن شاء الله سوف تتواجد حراسة من الساعة السادسة وحتى أنتهاء الزفاف؛ فجميع زملائي ورؤسائي سوف يكونون متواجدين...
-أعلم يابني ولكن لا تقلق، أنا أيضاً أريدها أجمل الليالي من أجلكما، بالإضافة إلى أنني مشتاق لرؤية زملائي ودعوتهم جميعاً، منذ أن خرجت معاش مبكر، لم نعد نتقابل كما السابق
-الحمد لله يا عمي على كل حال؛ فمعاشك المبكر والمبلغ الذي حصلت عليه قد أثمر بعد فتحك مكتب المقأولاًت، والشاب الذي يديره يخاف الله، وأنا كل فترة أتحرى عنه دون أن يدرى...
-نعم بني، فقد ارسلك الله لنا سنداً وعوناً بعده..
-لا يا عمي، لا تقلْ هذا، بل أرسلني الله لأجد السعادة معكم.

ويضع يديه على رجل والد سعاد بلطف وينظر له ويقول..
-أتتذكر يا عمي عندما قمْتُ بزيارتك في المستشفى لأحقق في ملابسات الحادث؟
-وهل هذا شيء ينسى يابني؟
حينها كأنت سعاد تجلس بجوارك وتبكى عندما رأيتها وهي تنظر بعيونها لي والدموع تملؤها، كاد قلبي يتوقف عن النبض وكأني لم أر فتاة من قبل....
ضحكات من الوالد وعمر تتعالى..
-وأنا كنت كما المغيب.
-لا ياعم، فأنت الخير والبركة.
-ولكن لي سؤال لم تجبْ عنه، رغم أني أعلم انك تعلم إجابته!
الأب في تركيز شديد..
-ما هو هذا السؤال يا عمر؟
-عندما سألتك أثناء التحقيق، هل رأيت سائق السيارة أجبْتَ بالنفي، ولكني في ذلك الوقت رأيْتُ في عينك الإجابة، وعلمْتُ أنك رأيته، ولكن احترمْتُ رأيك لأنني أعلم أنها لم تكن حادث مُدبَر بل مجرد حادثٍ عادي، وأغلقْنا القضية على هذا الأساس...
-سأريحك يا عمر، نعم رأيْتُ السائق، لكنه لم يُخطئ يابني؛ فهو كان يتفادى عجوزاً ظهرت فجأة امامه في الطريق فاصطدم بي؛ فكان هذا قدري، هل نحاسب القدر أو نحاسب السائق لأنه فعل الصواب في الوقت الخطأ!؟
نظرة إعجاب من عمر لوالد سعاد ثم ينظر في الساعة ويقف..
-الحديث معك دائما يأخذني يا عمي، يتبقى على موعد الكوافير ساعة، أستأذنك الآن، سوف أستعجلهم..
-تفضل يابني..
عمر ينادي..
-سعاد!!
-نعم يا عمر، هل أنتهيْتُم؟ ليس أمامنا سوى ساعة..
-نعم أنتهينا، هيا يا أمي، هيا يا نهى.
تتوجه أمها إلى الشرفة، وتنحني بعض الشيء لتكلم زوجها..
-هل ستحتاج شيئاً يا أبا سعاد قبل خروجي؟ لن أظل معهم طوال اليوم، ساعةٌ واحدةٌ فقط أعمل بعض الماسكات من أجلك طبعاً، وضحكة حنون منها وسوف أعود..
يمسك يدها بلطف وينظر لها..
-لا يا أم العروسة، لا تقلقي، سأكون بخير، أذهبوا في حفظ الله.
عمر يفتح الباب..
الأب ينادى بصوت يخرج بصعوبة وكأنه يبكي
-سعاد! ألن تأتى لتودعي والدك قبل أن تغادري؟
جميع الوجوه تغيرت ملامحها ليراقبوا المشهد في صمت..
-كيف هذا يا أبي؟ ولكنى لا أقوى على وداعك.
يفتح ذراعيه فترتمي بينهما وهي تبكى..

-سوف أشتاق لك يا أبي.
-هل انا أحتضنك لتبكي؟ ابتسمي، هذه العيون لا يجب أن تبكي أبداً؛ فهذا هو أجمل أيام عمرك.
-جميع أيامي معكم كأنت سعيدةً يا أبي.
-وإن شاء الله سوف تكونين أسعد مع زوجك يابنيتي، إن عمر شابٌ يخاف الله وسوف يرعاكِ أكثر مني، فكوني له زوجة صالحة.
عمر لينهى الموقف الذي أبكى الجميع..
-هل سمعتي ماذا قال عمي؟ كوني زوجةً صالحةً بمعنى أن تسمعي كلامي دائماً !
ضحكات من الجميع قطعتها الأم قائلة..
-هيا يا أولاًد!
-تفضلي بالنزول يا أمي وأنتِ يا نهى.
نظرة تعجب منهم وهم يهمون بنزول درجات السلم..
عمر بعد أن وضع نظارته..بادرته سعاد بالسؤال..
-ماذا تفعل؟ هل أنت مجنون؟
-نعم، أنا مجنون بكِ أنتِ.
كفى يا عمر؛ سيشاهدنا الجيران.
-وهل أفعل ما أخجل منه؟ أنا أحمل زوجتي حتى لا تلامس رجلها درجات السلم؛ فأنا عليها أغار.
تستسلم له، تلف ذراعيها حول عنقه ثم تميل برأسها على كتفه وكأنها قد نسيت أنهما ليسا وحدهما...
نظرات سعادة من الأم ونهى بدون كلام وضحكات، حتى أنتهوا من نزول السلالم بدون أي كلمه منهما، مشاعر تبادلاها هما الإثنان فقط، حتى بلغا باب السيارة ثم أنزلها برفق على الأرض...
الأب ينظر لهما من الشرفة ليلوح لهما؛ فيتبادل الجميع الضحكات...
ترفع نهى عينيها لأعلى، وبالتحديد للعمارة المقابلة، ولأول مرة تصطدم عيناها بعينيه،تعالت دقات قلبها، يكاد يسمعها الجميع، ويصيبها شيء من الارتباك، ويحمر وجهها
ثم تسأل نفسها: تُرى هل ينظر لي أم ينظر فقط كما الجميع للعروسين؟
تجذبها سعاد من يدها لداخل العربة، وتضحك ضحكة ماكرة، وبصوت لم يسمعه أحد غيرهما..
لا تقلقي، سوف تقر عينك عن قرب به في المساء...
تزاحمهم الأم وتركب جوارها بالخلف، تغلق سعاد الباب، وتركب بجوار عمر، بينما يتأهب لينطلق بالعربة...
-هيا يا شباب! اليوم يمر بسرعة، علقوا هذه الزينة على بيوت الجيران أيضاً
-حاضر يا حاج منير، لا تقلق، سوف ننتهي قبل المساء إن شاء الله.
-أتمنى ذلك
الجيران تقدم التهاني..
-ألف مبروك يا حج منير، ربنا يتمم بخير.
-بارك الله لنا بك يا أبو ياسمين، عقبال أولاًدك.
-ألف مبروك يا عمي، ما شاء الله، يبدو أن الفرح سيكون أشبه بحكايات ألف ليلة وليلة.

ضحكة رقيقة.. عقبالك يا عاصم يا ابني، وإن شاء الله فرحك سوف يكون أعلى منه مستوى ضحكة مكسورة من عاصم الجار المقابل لعمارتهم..
-وكيف يكون ذلك يا عمي منير؟
-أنت تستحق كل الخير يا ابني، وإن شاء الله ربنا لا يتخلى عن عباده الصالحين، وأنت منذ أن انتقلت للسكن في المنطقة لم نعهد منك إلا كل طيب أنتَ وأسرتك، يكفي أنك لا تأخذ أجراً من المرضى المحتاجين فى المنطقة.
يضع عاصم يده على رأسه ويقول..
-أنت على رأسي يا عمي، والجميع، وهذا واجبي، بارك الله لنا فيك جميعاً، إن احتجت أي شيء للمساعدة، فأنا تحت أمرك، لن أذهب للعمل اليوم.
-الأمر لله يا ابني، ودا أكيد، هل سأتردد فى طلب المساعدة من ابني؟
يستأذن عاصم ويدخل شقته...

أسرة أنهكها الزمان
أمي! هل أخذتِ دواءك؟ (الأم في عقدها الرابع...يظهر عليها ملامح الإجهاد.. أنيقةٌ في مظهرها، رغم مستوى الشقة البسيطة التي يقيمون بها)
نعم يا بني، لا تقلق أنا بخير، الجميع ضغطه يرتفع، هذا ليس بمرض.
ضحكةٌ رقيقه منها..
-هل سوف تمارس عملك معي؟
لمسة حنون على يدها منه..
-وليكن يا أمي، يجب أن تهتمي بصحتك من أجلنا؛ فأنتِ الآن كل شيء لنا بعد الله وحده.
-لا تخشَ شيئاً يا عاصم؛ والدك كان رجل طيب، الجميع كان يحبه ويحترمه، وأنت تعلم أنه كان له مكانته، ولولا أن خسرنا كل شيء في البورصة، لكان معنا الآن، رحمة الله عليه، والحمد لله على كل شيء، والحمد لله رغم تخلي الجميع عنا، لم يتخلَ عنا عمك جمال والد هاني صديقك؛ فقد عينك لديه، ومازال حتى الآن هو الوحيد الذي يطرق بابنا بعد أن تركْنا حياة الثراء وانتقلنا إلى هنا.
-أمي!
-نعم يا عاصم؟
-هناك شيء يحيرني، ولا أعلم هل أقوله لكِ أو لا.
-ومنذ متى ونحن بيننا أسرار يا بني! آتني بما لديك.
-كنت أبحث في أوراق والدي عن أي شيء يثبت ملكِتنا لفيلا الزمالك وشركات والدي التي ضاعت كلها بطريقه تدعو للشك، ولكني وجدت ورقة بخط يد والدي تُثبت أنه قد تنازل عن جميع أملاكه لوالد هاني وموقع عليها هو وعمي جمال...
مشاعر القلق واضحة على الأم ولكنها ليسَتْ مندهشة..
الأم برجاء منها

-بُنَي، أنا أعلم والدك، كان يحكي لي كل شيء.
نظرة ذهول من عاصم..

-ولماذا لم تخبريني يا أمي؟ ولماذا تركتيني أعمل لديه وهذا فندقي؟ ولماذا سمحتِ له بأن يدفع لي مصاريف كلية الطب وأنت تعلمين انها أموالنا؟ ولماذا جعلتينا ننتقل من الحى الراقي إلى هذا الحى الشعبي يا أمي؟ لماذا يا أمي؟
تنهمر دموعها وتجيبه ..
-لأني أحبك وأخشى أن أخسرك أنت أيضاً يا بني، كما خسرنا والدك من قبل.
يمسكها من كتفها، يشدها وهو يردد: كيف يا أمي كيف؟
تنظر اليه كما لو كانت تقول له أنت تؤلمني..
فك يده وقبلها على جبينها ..
- سامحيني ولكن لي حق أن أعرف.
-نعم يا بني، لك الحق.
-إن كنْتُ قد حكيت لك من خمسة أعوام مرت على رحيل والدك، كنتَ سوف تندفع، وكان سيختفي كل شيء ويضيع بلا عودة.
-والد هاني له نفوذ في كل مكان، ولو كان يعلم أننا مازلْنا نحتفظ بهذه الورقة، كان سوف يفعل المستحيل ليحصل عليها حتى لو تخلص منك، فهو لا يخشى شيئاً بعد وفاة زوجته وفساد ابنه أرجوك يا بني، احتفظ بالورقة وبالسر حتى يحين موعد الحساب؛ فهذا ليس وقته ولا تنبش في الماضي حتى لا تحترق.الجميع حاليا تخلى عنا بعد أن ضاع منا الثراء، ولم يطرق بابنا أحد منذ أن انتقلنا هنا، لقد توفى والدك قهراً؛ فدعني وأنا سوف أسترد لكم حقكم، ونكشف الحقائق، مر الكثير يابني، لم يبقَ الا القليل ليعود لك ما سلبه هو منك.
-حاضر يا أمي، فأنتِ دائماً حكمتك تسبق كلماتك سوف أصبر، ولكن أشركيني معكِ؛ فلسْتُ صغيراً..
صوت رقيق ينادى..
-عاصم!
-تعالي يا نور (نور أخت عاصم الصغيرة، عشرون عاماً، تدرس فى الفرقة الثانية بكلية الآثار، بيضاء البشرة، شعرها قصير أصفر، عيناها بنية، ممشوقة القوام)
-لماذا أنت هنا حتى الآن؟ غريبٌ تواجدك! اليس لديك عمل اليوم؟
تظهر على وجهه علامات العبوس وينظر لها..
-نعم، لن أذهب اليوم، سوف أظل بالمنزل..
-ولن تفتح العيادة أيضاً؟
-سأتناول الفطور ثم أذهب إلى العيادة.
-هل انتهيتِ من استجوابي؟
ضحكة ماكرة من نور..
-اعلم أنه يجب أن تجهز نفسك لحفلة المساء.
يضحك كما لو كان خجلاً، تدعو لهم الأم بالسعادة، يجذبها من يديها بلطف خارج غرفة والدتهم
-أستظلين هكذا تبوحين بكل شيء؟
أخبريني:ألا تتحدثين مع نهى؟
-وكيف أتحدث معها وهي ليست في نفس مجال دراستي!؟ نحن لا نتقابل إلا قليلاً صدفة في الشارع

-وفى هذا القليل عمَ تتكلمان؟ ألا تكلميها عني؟
تضحك وتمد يدها..
-بكم وأنا أكلمها عنك؟
-ألم أحضر لكِ طقماً جديداً الأسبوع الماضي!؟
-لاا، لقد كان ذلك من أجل أن أنظر لك من النافذة، وأخبرك ماذا تفعل نهى.
-حسناً، ماذا تريدين لتصبحي صديقه لها؟
-لا أريد شيئاً.
نظرة تعجب؛ فهذا ليس طبعها، يتحسس جبينها بيديه
-هل تشعرين بحمى ؟
-لا، لمَ؟
-سوف تصادقين نهى دون أن تبتزيني!
نظرات ماكرة من نور وتقول..
-ألست أخي وحبيبي وسعادتك تهمني؟!
-ما هذا الحنان والأدب؟ بدأت أخاف.
-لا تخفْ، سوف أذهب معك الليلة لزفاف أختها.
-لا طبعاً، هذا مستحيل، كيف نترك أمنا وحدها؟
-لن نتركها.
-كيف؟ هي لا تستطيع الذهاب، ألم تلحظي كيف هي مريضة اليوم؟
-ومن قال أنها سوف تذهب؟
بدأت الحيرن تظهر على وجهه..
-سوف نطلب من طنط أم مها أن تأتي لتجلس معها، وكلاهما تحبان الحديث مع بعضهما ولن ترفض.
تسمع حديثهما الأم، وكأنها وجدت حل لشيء ما؛ فتنادي بصوت عال..
-يا عاصم، لا تشغلوا أنفسكم بي؛ فأنا بخير، وسوف أشاهد التلفاز لحين حضوركما !
-ولكن يا أمي..
تقاطعه أمه..
-ليس هناك ولكن يا أمي..
-جهزا نفسيكما ولا تنشغلا بي، أنا بخير لا تقلقا.
يضحكان في سعادة..
-حسناً يا أمي
ثم يكمل حديثه مع نور..
-حسناً سوف آخذك ولكن بشرط! !
-ما هو؟
-أن تقدميني إلى نهى، وتتركينا، وتذهبي مع صديقاتك في الحفل.
-إذاً اتفقنا، سوف أذهب لأجهز فستاناً يليق بهذا الزفاف.
-لا، سوف نجهز الغداء أولاً..
-لا، تجهيز الغداء عليك أنت.

-لماذا؟
-لأترككم تتحدثون وحدكم.
نظرة غيظ من عاصم، ويرفع يده ليمسك بها.
نظره ماكرة من نور، فتسرع بالجري من أمامه وهي تقول..
-لا تكثر من الملح في الطعام.
وتهرول إلى غرفتها قبل أن يمسك بها...
يسرع إلى المطبخ لعمل إفطار سريع وهو يقول..
-سوف أنتهي وأحضر الغداء معي بعد أن أنتهي من العيادة.
يسمع صوت أمه تنادى مره ثانية كما لو كانت تشعر بحيرته، يسرع لها..
-نعم يا أمي!
-لا تحمل هم الغداء يا بني، أنا بخير وسوف أنهض لأقوم با لطهي.
-ولكن يا أمي..
تربت على كتفه..
-لا تقلق، أنا بخير، فلتذهب إلى عملك.
يقبل يدها بدون أي كلمة.

على الجانب الأخر*****
عمر! ها قد وصلنا أخيراً، أتمنى أن يكتمل اليوم على خير..
-لا تقلق يا عمر، كل شيء سوف يكتمل يا بني.
يترجلون من السيارة، فتستقبلهم فتاة رقيقة أنيقة المظهر وترحب بهم.
موعد زفاف
أهلاً يا فندم، فى انتظار حضراتكم منذ نصف ساعة.
يخلع عمر نظارته ويوجه كلامه لها..
-زحمة السير هي من أخلفت موعدنا يا آنسة.
تهمس سعاد في أذن عمر..
-إنها ليست من ضباطك.
ينفرج ثغره بضحكة عالية يندهش منها الجميع ثم يقول..
-هيا تفضلوا جميعاً، وإن احتجتم أي شيء اطلبوه من مدام علية صاحبة الكوافير، سوف تلبيها لكم على الفور، أما الغداء سوف يصلكم في الساعة الرابعة تماماً، طلبت لكِ ما تحبينه يا سعاد، وقد طلبت لكِ ولنهى ما تحبونه أيضاً يا أمى..
يضحكون جميعاً، فتقول له والدة سعاد..
-سأنتهي سريعاً، وأعود إلى المنزل؛ لدي الكثير لأقوم به.
تخرج الأم ونهى، فترافقهم الفتاة الآنيقة إلى الغرفة المخصصة لهم..
يمسك عمر يد سعاد برفق، ويطبع قبلة رقيقة عليها ثم يبادلها نظرة حب..
-سوف أتركك الآن يا حبيبتي، فهل تحتاجين أي شيء قبل أن أرحل؟
-لا أحتاج سواك يا عمري.

-ياااه، عمري! تكفيني هذه الكلمة حتى أعود لكِ بعد ساعات قليلة حبيبتي.
يستدير ويمشى ويلوح لها من بعيد..
يسمع صوتها الحنون تنادي..
-عمر!
يأتيها مسرعاً بين الجميع وقد نسى من يكون..
-نعم يا حبيبتي.
-سوف أشتاق لك.
-وأنا سوف أكون أكثر منكِ اشتياقاً.
-في حفظ الله.
يعيد التلويح لها وتظل واقفه حتى تراه يركب سيارته، أما هي فتهرول على السلالم حتى تلحق بأمها وأختها ثم تضحك ضحكة عالية وتقول..
-ها قد أتيْت.
تضحك نهى قائلة..
-أهلاً بالمشاكسة.
الأم للفتاة الآنيقة..
أرجو عمل الماسك الخاص بي أولاً حتى لا أتأخر؛ ورائي الكثير في المنزل لم يجهز بعد..
ضحكة رقيقة من الفتاة..
-حاضر يا هانم، سوف تأتي حالاً المساعدة لعمل الماسكات اللازمه لكِ، أما أنا في خدمة الآنسة سعاد؛ فعمر باشا طلب أن أوفر نفسي لخدمتها.
-كما أنا أحبك يا عمر..
ضحكة من نهى..
-إنه يستحق فعلاً أن تحبيه أيتها المشاكسة..
ثم تضم شفتيها في غضب..
-وهل سأراقبكم فقط؟
الفتاة الآنيقة..
لا يا آنسة نهى، المساعِدة سوف تعمل الماسكات للوالدة وتتفرغ لكِ وحدك لعمل الماكياج والتسريحة، لا تقلقي؛ فكل شيء مجهز له سابقاً.
ضحكة من نهى..
-حسناً، سوف أنتظر..
تبدأ الفتاة الآنيقة بعمل الماسك للعروسة، وتفك لها شعرها حتى تقوم بغسله وفرده..
تنتهي الأم من عمل الماسك وبعض الرتوش بوجهها في استعجال، ثم ترتدي حجابها وتوجه الكلام للفتاة الآنيقة..
-أن تجعل العروسة أجمل فتاة في هذه الليلة، وأن تعمل لها تسريحة مرفوعة لتظهر وجهها وعنقها، وتظهرها في شموخ، وأن تظهر عيونها الجميلة، ظلت تعطيها الكثير من التعليمات والفتاة تستمع في صمت حتى أنهت كلأمها..
-تحت أمرك يا هانم، لا تقلقي، لا تخرج العروسة إلا ملكة من عندنا..
تقبل الأم سعاد بحنان وتتمنى لها السعادة، وتتوجه لنهى وتقول لها..

-لا تُكثري من وضع الماكياج؛ فأنتِ جميلة دائماً، كذلك اجعلي تسريحتك بسيطة؛ فبساطة التسريحة تجعل الفتاه ساحرة.
تضحك نهى قائلة.. حاضر يا أمي، لا تقلقي.
تستأذن الأم لأن والدهم ينتظرها.
تخرج وتنظر لفتياتها وتتمتم في نفسها.
-كبرت فتياتي وأصبحن عرائس، ما شاء الله..
تغلق الباب خلفها، وتهم بالنزول، تخرج من باب الكوافير فجأة، فيخرج خلفها شاب من الأمن ويقول لها..
تحت أمرك يا هانم، هل تريدين تاكسي؟
-نعم يا ابني سوف أشير له..
-لا يا هانم، سآتي أنا به إليك؛ فعمر باشا طلب منا ن نهتم بكم..
تضحك الأم وتتمتم: بارك الله فيك ابني عُمر، كم نحن محظوظون بك !
تضحك الفتاتان بعد خروج أمهما، ويتبادلان مع الفتاة الآنيقة الحديث في أنواع مستحضرات التجميل وغيرها من مواضيع في الموضة...
-كيف حالك يا عم حسين؟
يسرع بالوقوف عن كرسيه.. بخير الحمد لله يا عمر باشا.
لمسة حنون من عُمر على كتفه.. لا تقف مرة ثانية يا عم حسين؛ فأنت مثل والدي.
خجل يظهر على ملامح وجهه..
-العفو منك يا باشا، أنا خدامك وخدام الباشا الكبير.
-كلنا عباد الله يا عم حسين تفضل بالجلوس...
-هل حضر والدي؟
-حضر يا عمر باشا منذ نصف ساعة...
يتركه عمر ويدخل الفيلا..
يضع نظارته ومفاتيح سيارته على منضدة مستطيلة تتوسط أنتريه أنيق في ساحة الفيلا، ويتجه إلى غرفة مكتب والده، يستأذنه بالدخول..
-تفضل يا عُمر.
رجلٌ في العقد الخامس من عمره، ممتلئ الجسد، متوسط الطول، الشعر الأبيض يكاد يكسو رأسه ولكنه يزيد من وقاره، يرتدى نظاره للقراءة، صوته قوي كما لو كان شاباً في عقده الثالث..
-السلام عليكم يا أبي.
-وعليكم السلام يا بني، لماذا تأخرت هكذا؟ هل أوصلت سعاد وأسرتها؟
-نعم يا والدي أوصلتهم، ولكن الزحام فى الطريق كان سبب تأخرنا
-المهم يا بني أنكم وصلتم...
ضحكات متبادلة بين الوالد وابنه ثم يهم بالوقوف، ويلف ذراعه حول كتف عُمر ليخرجوا من الغرفة..
-هل أنهيتَ جميع ترتيبات الزفاف يابني؟
-نعم يا والدي لم يبقَ إلا أن أُحضر العروس من الكوافير..

يقاطعهم صوت رفيع لكن حنون..
والدة عمر سيده أنيقة في العقد الرابع من عمرها، تفوح من ملابسها رائحة لأفخم أنواع العطور، شعرها طويل أسمر، ينساب علي ظهرها، ممشوقة القوام كما لو كأنت فتاة في مقتبل العمر
-عمر حبيبي لمَ تأخرت؟
ينظر له والده من أسفل النظارة، ويضحك ضحكة يفهم كلاهما معناها كما لو كان يقول له:ها قد بدأ خوف الأم..
-كان الطريق مزدحماً يا أمي، وما أن انتهيت، حتى عدت مسرعاً لأتناول غدائي الأخير معكم ..
حضن دافيء.. لا تقلْ هذا يا حبيبي .
-بارك الله لنا فيك وبعروسك الرقيقة؛ فليس لنا غيركما، ليس معنى أن تقيما وحدكما بالفيلا التي تبعد عننا مجرد أمتار، أنكم سوف تتركاننا بدون حتى زيارة.
-لا يا أمي طبعاً، أنا فقط أداعبك.
يتوسطهم الأب ويلف ذراعيه حولهما، وكأنهما الاثنين أولاًده..
-هيا لنتناول الغداء؛ البطون خاوية وأكاد أموت من الجوع..
ضحكات بصوت مرتفع يتبادلها الجميع..
-توقف هنا، كم تريد أيها السائق؟
-لا شيء سيدتي، قد دفع لي الشاب الذي أوقفني.
تتوقف لحظة وملامح السعادة تكسو وجهها، تشاهد الشارع كما لو كان به مهرجان راقٍ وليس زفافاً، البعض من أهل المنطقة يقدم لها التهنئة، تسرع إلى داخل العمارة، وتصعد السلالم مسرعة، أنفاسها تتعالى، ودقات قلبها ترتفع حتى وصلت إلى باب الشقة، وأخرجت المفتاح من شنطة يدها، فتحت ودخلت ثم أغلقته لتلقي بنفسها على كنبة الآنتريه الموجودة في الصالة، تأخذ نفساً عميقاً.. الحمد لله أنني طلعت هذا السلم، كم أكرهه!
-يا أم سعاد! هل عدتي؟
-نعم، وسوف أحضر حالاً..
-لماذا تأخرتي هكذا؟
-الزحام الشديد أخرنا على الموعد نصف ساعة.
-ولكن يا أبا سعاد وجدنا الجميع هناك في خدمتنا، وجهها يتهلل من السعادة..
-حتى سائق التاكسي لم يأخذ منى الأجرة؛ فقد أمرهم عمر بأن يكون الجميع في خدمتنا..
-الحمد لله يا أم سعاد، رزقنا الله بزوج لابنتنا صالح وله مكانة..
-ولكن ما شاء الله، تجهيزات الزفاف رائعة؛ السجاد يغطى الشارع تماماً والحفلة سوف تكون مغلقه كما لو كانت قاعة.
يقاطعها قائلاً وهو مبتسم..
هل سوف نتغدى اليوم؟
تضحك ضحكة مرحة..
نعم لا تقلق، لقد جهزْتُ الطعام منذ الأمس، سأخرجه ثم أقوم بتسخينه فقط.
-ربع ساعة، وسوف يكون جاهزاً..

-ما حرمني الله منكِ.
-ولا منك يا أبو سعاد.
اليوم يمر سريعاً والجميع يستعد له..
-هل انتهيْتِ يا أم سعاد؟
-لحظة واحدة، سوف آتي لأعقد لك رابطة العنق.
ضحكة رقيقة.. حسناً
ما شاء الله يا أم سعاد، أخشى عليكِ من عيون الناس؛ الفستان الأسود يزيد جمالك جمالاً..
تضحك بخجل.. والحجاب الفضي أليس جميلاً؟
-أنتِ هي الجميلة.
يتبادلان الضحك وهي تمسك برباطة عنقه وتحبك ربطها ثم تمسك بذراعه، وتعطيه عكازه ليتكيء عليه ..ثم بسرعه وكأنها تذكرت شيئاً!
-لحظة يا أبو سعاد، سأحضر كاميرا نهى، لقد طلبت مني إحضارها..
تفتح باب الشقة وتستدير لتتأكد من أنها أغلقته جيداً، يهم كلاهما بنزول السلالم وهي تحمل له عكازه..
حفل اسطورى
ما شاء الله، أصبح الشارع كما لو كان من أرقى المناطق في القاهرة يا أبا سعاد، هيا لندخل حتى نستقبل المعازيم، أرى بعضهم يجلس بالداخل.
توجد مناضد منظمة، يحيط بكل منضدة عدد من الكراسي المكسية بالستان الأبيض، ومزينة من الخلف بفيونكة كبيره من الستان الأبيض، تتوسط كل منضدة باقة من أزهار البنفسج الطبيعية رائحتها تعبق المكان كله..
-تعالى يا أبا سعاد لنرحب بمن حضر من أهل المنطقة.
يرحبان بهم ويتقبلان التهاني ثم يستديران ليجلسا على إحدى المناضد لحين حضور باقي المعازيم..
-ها هم والدي عمر قد حضرا يا أبا سعاد، إنهما مُقبِلان علينا..
-أهلاً أهلاً يا أبا سعاد، ألف مبروك.
-بارك الله لنا ولكم يا أباعمر، أهلاً بكِ يا أم عمر، ألف مبروك، بارك الله فيك يا أبا سعاد، ما شاء الله، كل شيء منظم ورائع.
تتبادل الوالدتان الأحضان، وتثنيان على ملابس السهرة الآنيقة التي يرتدياها وتتهامسان..هل سنجلس والمعازيم تأتي لتقدم لنا التهنئة، أم سنظل واقفتيْن لاستقبالهم؟ وأخيراً تتفقان على أن تجلسا، وعندما يأتي أحدهم تنهضان للترحيب به.
موسيقى رقيقه تعزفها الفرقة الموسيقية لحين حضور العروسين، صوت أبواق السيارات يملأ المكان، إنهم ضيوف عمر: وكلاء النيابة، والضباط، وبعض المحامين، وحرسهم الخصوصي معهم وأسرهم معهم.
ينهضون لاستقبالهم والترحيب بهم، أحد أفراد الأمن الموجودين يذهب مع الضيوف حتى يوصلهم إلى مكان الجلوس،وها هم أصدقاء والد سعاد يقتربون منه، وتظهر علامات السعادة والحنين على وجهه، يتبادلون الأحضان الدافئة، ويقدمهم لوالد عمر، ويستأذن منه لينضم معهم ليقضى بعض الوقت معهم على المنضدة المجاورة، فكم هو مشتاق للحديث معهم! ضحكاتهم

تتعالى جميعاً، كما لو كانوا لم يفترقوا أبداً..وزوجاتهم تنضم لوالدة سعاد وعمر، يتم التعارف بينهم لحين حضور العروسين، وفجأة تعم الضجة في المكان، الجميع يتحدث، والموسيقى تُعزَف، والجميع سعداء، يدخل عاصم وأخته نور، يقتربان من والدي عمر وسعاد، يقدمان التهنئة، يقدمه والد سعاد لوالد عمر، وتذهب نور لتقدم التهنئة لوالدة سعاد التي بدورها تقدمها لوالدة عمر، تقبلها، وتقدم التهنئة، وتذهبن لتجلسن مع باقي أهل المنطقة، فجأة تتأهب الفرقة لزفة العروسين؛ فهم في الطريق للوصول، أبواق السيارات تعم المكان، يقف الجميع في استقبال العروسين، وزفة عسكرية رائعة تستقبلهم من باب السيارة، يمشيان على السجادة الحمراء ،وخلفهم تسير الوصيفات من صديقاتها، وصديقات نهى، وأقارب عمر، الجميع يرتدى لون (روز) موحد، وعقد فل على الرأس، ويمسكون سلات ورديه بها ورود ينثرونها على العروسين.

أم سعاد تحتضنها.. ما شاء الله ابنتي ملكة متوجة وتحتضن عمر، وتوجه الكلام له وابني ما شاء الله أمير..

وتنظر لنهى لتجدها فائقة الجمال...

والدة عمر تحتضن العروسة، وتقبلها، وتقبل ابنها، وتتمنى لهم السعادة، والوالدان يقدمان التهاني، ويبتعد الجميع حتى تكتمل مراسم الزفة وسط ذهول من جميع المعازيم، يصلان إلى المسرح ويستعدان لأول رقصه في الحفلة.....

تتركهم نهى وتذهب حيث تجلس أمها، وتأخذ منها الكاميرا وتصور كل المعازيم في هذا الزفاف الجميل...

تقع عيناها من خلف عدسة الكاميرا على عاصم، ترتبك وتصوره بدون أن تشعر...

ثم تذهب لترحب بجميع المعازيم حتى وصلت لمكان جلوس عاصم.

وقفت نورا وهنأتها، وقف عاصم وكأنه خجل، وقال لها..عقبالك يا آنسة نهى، ونسى أن يسحب يده من يدها، قاطعته نورا حتى ينتبه.. وعقبالي أنا أيضاً.

ضحكا واستأذنَتْ نهى لترحب بباقي الضيوف.

-نورا! هل كان هذا سلاماً أم ماذا؟

نظر لها وقال كان ماذا يا ذكية؟

يجلس منشغل الفكر وكأن هناك شيئاً ما ثم يقول لها..

-اجلسي مع صديقاتك، أنا ذاهب لأطمئن على والدتي.

تنظر له نور فى تعجب:حسناً لكن لا تتأخر.

الجميع مستمتعٌ بالزفاف، والفرقة تقدم الفقرات، والعروسان يرقصان مع المعازيم، ونهى تصور كل الأحداث بدقة.

يمر الوقت، تنظر نور فى ساعتها.. لمَ كل هذا التأخير يا عاصم؟ لقد اوشك الزفاف على الآنتهاء! ترى هل حدث شيء!؟

ثم تندمج مرة أخرى مع فقرات الزفاف، إلى أن أتى موعد تقديم قالب الحلوى للعروسين، يذهب العروسان إلى المنضدة الموجود عليها قالب الحلوى التي تقع بجوار منضدة عاصم وأخته، تُمسك سعاد بالسكين، ويمسك عمر بيديها ..

ولكن فجأة يميل القالب ويكاد يقع، فجأة يظهر عاصم مسرعاً ليمسك به حتى يتوازن، وتنزف أنفه بعض قطرات الدماء الذي يسقط على فستان العروسة؛ فيشكره عمر وسعاد، ويعطيه

منديلاً ورقياً ليوقف نزيف أنفه، ويطلب من الأمن الموجود أن يأخذوه ويهتموا به، ويشير لنهى بألا تخبر والديه؛ فتظل فى مكانها وهي تصور الموقف من بعيد، مر الموقف بسلام دون أن يشعر به إلا القليل، تبسم عمر لسعاد وهو يقول محاولاً إزالة التوتر عنها..
-الحمد لله، كنا لن نتذوق طعم الحلوى.
يضحكان بصوت مرتفع، ويكملان مراسم التقطيع ثم يذهبان إلى افتتاح البوفيه، ودعوه المعازيم له، تذهب نهى لتطمأن على عاصم وتشكره لإنقاذه الموقف، يبتسم لها ويقول.. بل أنا من أشكر الموقف الذي جعلنى أتحدث معكِ.
يظهر على وجهها الخجل وتبتسم بسمة خفية، يكمل هو كلامه..
-هذا الفستان رائع لأنك ترتدينه، والحجاب يتوج رأسك كملكة.
تتمتم في نفسها وهي سعيدة..
-إنه معجب بي مثلما أنا معجبة به، ماذا أفعل؟
تقاطعهما أخته نورا..
-عاصم! ماذا حدث؟
-لا شيء حبيبت..
تضحك ثم ترتمى في حضنه، وتكاد تبكي..
-لقد قلقْتُ عليك، لم أرك، فقد كنْتُ أتحدث مع أصدقائي..
يربت عليها برفق ويقول: اطمئني..
تتابعهم نهى وتكاد تبكي..
فيقاطعهم عاصم: ماذا بكما؟ هيا بنا لنكمل الزفاف. يبتسمان وبدون شعور منها تمسك يديه كما أخته نور، وتمشي وهو ينظر لها في سعادة لا يكاد قلبه يسعها..
ثم تستأذن منهم لتذهب إلى العروسة، ولكن عاصم يطلب منها طلباً جريئاً.
-آنسه نهى !
-نعم !
-ممكن رقم هاتفك؟
لا تتردد وبدون تفكير تعطيه له..
مسرعاً يسجله ويجلس في سعادة الدقائق المتبقية في الحفلة...
ينتهي الزفاف على خير ..ويقوم الجميع بتوديع العروسين متمنين لهم السعادة...
ترمى العروسة الزهور على جميع المعازيم، تلتقطها نهى في سعادة، ويركبان عربتهما ويغادران وسط زفة كبيرة من الأهل والأصدقاء.
يغادر الجميع، لم يتبقَ إلا أهل المنطقة يسلمون على أم سعاد ووالدها، وتقف نهى تتحدث مع عاصم ونور حتى تقاطعهم أمها، وتطلب منها أن تطلع معهم؛ فتستأذن منهم، وتلوح لهم، وتغادر لداخل عمارتهم ..
نور تجذب يد عاصم: هيا أيها العاشق اليوم.

8

كان سعدك يضحكان بصوت عالي ويحضنها وهو يقول نعم اليوم كان سعدى هيا لقد نسينا امنا.. ويسرعان داخل عمارتهم و يهرولا على السلالم كما الاطفال....

أنتهت زفة العروسان ويتوجهون في موكبهم إلى الفيلا التي سوف يبدئون بها حياتهم الزوجية..
ينزلان من العربة..
يتوجه والد عمر ووالدته ليودعاهما، ويتمنيان لهما حياة زوجية سعيدة..
يلوح لهم جميع الأصدقاء، وينثرون عليهم الورود حتى وصلوا لباب الفيلا.
حياة جديدة
يفتح عمر الباب، تريد سعاد أن تدخل يوقفها..
-انتظري يا حبيبتي..
-ماذا يا عمرى؟
يحملها على ذراعيه، وينظر لها في إعجاب..
-سوف تدخلين حياتي وأنتِ على ذراعي؛ فحبيبتي لا تسير على الأرض..
تبتسم بحب وخجل، وتحيط عنقه بذراعيها، يداعبها ببعض الكلمات الحنونة، ويغلق الباب برجله، الخادمة اليوم في إجازة، ويسير بها حتى يصل إلى السلم الذي يتوسط الفيلا، ويطلع برفق على درجات السلم المغطى بالبساط الأحمر، دون أي كلمة، الصمت من الكلمات يحيط بهم، ولكن فيض المشاعر يغلف الجسدين، يصلان إلى غرفتهما، يمسك بها جيداً حتى لا تفلت من بين ذراعيه ليفتح باب الغرفة ..تقول وهي خائفة:عُمر!
-لا تخافي يا حبيبتي، لن أفلتكِ، يدخل بها الغرفة، تنظر في دهشة على السرير الذي يتوسط الغرفة، والمغطى بالستان الأبيض، ومنثور عليه الورود التي تعبق رائحتها الغرفة، يضعها برفق على السرير ويستدير ليغلق باب الغرفة..
تنظر له بخجل وكانها تراه لأول مره..
-الآن فقط حبيبتي لا خجل بيننا، فأنتِ زوجتي..
تنظر إلى فستانها الأبيض وكأن أصابها مس وتقول: ما هذا ما هذه الدماء على فستاني؟
يلتقط عمر الفستان.. أي دماءٍ يا حبيبتي؟ أخشى ان اكون قد أصبْتُكِ وأنا أفتح باب الغرفة ولكن هذه الدماء جافة..
يضحك وهي تنظر له..
-علامَ تضحك الآن؟ فستان زفافي أفسدته هذه الدماء.
-لا يا حبيبتي، الفستان لم يفسد وبعض قطرات من الدماء لم يلحظها أحد حتى أنتِ لم تلحظيها إلا الآن، إنها دماء جاركم، ويضحك بصوت عالٍ عندما أنقذ قالب الحلوى، يتبادلان الضحكات ثم يكمل، لا ترسليه للمغسلة؛ فهو يحمل بداخله اجمل اللحظات، ويوماً ما سوف نحكي لأولادنا قصة هذه الدماء ونضحك.
تقول بخجل..
-أولادنا!
-نعم أولادنا، هل لديكِ مانع؟...وجهها يحمر خجلاً وتبدأ ليلتهم...
على الجانب الآخر نهى واسرتها في شقتهم
الجميع مرهق ويحتاج للراحة..
تسأل نهى والديها..
-هل تحتاجان شيئاً قبل أن أغفو؟
-لا يا ابنتي، ادخلي غرفتكِ لترتاحي..

-حسناً يا أمي، تصبحان على خير..
-الزفاف كان رائعاً يا أبا سعاد، والجميع كان سعيداً، والجيران كانوا كما الأهل الحمد لله.
-نعم يا أم سعاد حتى زملائى أظهروا إعجابهم بالزفاف وبطريقة تنظيمه..
تنهمر دموعها: سوف نشتاق لابنتنا.. يحتضنها وكأنها طفلة: لماذا البكاء فى هذه الليلة؟ ابنتنا تزوجت ممن تحبه، ومن شاب نأتمنه عليها، فقط اطمئني عليها..
ليلة شاعرية
تغلق نهى غرفتها وتبدل ملابسها، وبسرعه تنظر إلى النافذة لكن الوقت متأخر، لا أحد يقف فيها..
تجلس على سريرها وتنظر إلى سرير سعاد المرتب، تشعر بحنين لها وتكاد تبكي..
لكن تأخذها أفكارها بعيداً ..وتسأل نفسها: ما هذا الذي فعلته أنا اليوم؟
لقد أمسكت بيد عاصم! وكيف أعطيه رقم هاتفي هكذا! ماذا يقول عنى الآن ؟
تساؤلات كثيرة تدور في رأسها ؟؟؟؟؟
فجأة ترى نور من خلف نافذة عاصم ..عاصم في الجهة الأخرى، شيءٌ ما لا يجعله يستطيع أن يهنأ بالنوم ورأسه تكاد تنفجر، تقفز نهى من مكانها، وتنظر من خلف الستارة ولكنه لا يفتح النافذة!
يُفزعها رنين هاتفها، تُسرع نحوه، تلتقطه وهي تتسائل، تُرى من يتصل في هذا الوقت؟ الساعة الواحدة صباحاً!
تنظر في الهاتف، إنه رقم ليس مسجلاً، لن أرد، لكن لعله أحد نعرفه يحتاج المساعدة..
تفتح المكالمة دون أن ترد؛ لعلها تتعرف على صوت المتصل.. صوت شاب رقيق يسأل هل هذا هاتف الآنسة نهى؟ ترد بعفويه وكأن الصوت أجبرها على هذا.. نعم، من المتصل؟
-أنا عاصم!
يقع الهاتف من يدها وهي تنظر له على الأرض، وضربات قلبها تتسارع ثم تنحني لتلتقطه..
-أهلاً بك دكتور عاصم.
-أعتذر عن الاتصال في هذا الوقت، أردْتُ أن أتأكد من صحة الرقم..
-أرادت أن تُظهر نفسها وكأنها لم تعطه شيئاً.
-عن أي رقم تتحدث؟
رقم هاتفك الذي أعطيتني إياه!
-أنا ! متى؟
-أمس في حفل زفاف أختك!
يضحك ضحكة رقيقة ويقول..
-دعكِ من الرقم الآن، فأنا قلقٌ بعض الشيء، والحديث معك إن قبلتِ سوف يُريحني ولا داعي لاستخدام الألقاب، فأنتِ كنتِ مشغولة، من الممكن أن تكوني أعطيتني إياه دون أن تدري..
ترد في خجل..
-نعم فعلاً، هكذا هو..
تسأله: كيف هي نور؟
-بخير، إنها نائمة.

تمسك بالهاتف جيداً، تجلس على سريرها، تتحدث إليه وعيونها مغلقه لتشعر بوجوده..
يقف خلف نافذته ممسكاً بهاتفه، ينظر من بين الفواصل الموجودة به على شرفة نهى؛ عله يراها..
تطفئ نور غرفتها وتضيء لمبة صغيرة بجوار سريرها ، يجلس هو على كرسي خلف مكتب صغير في غرفة نومه، يرفع رجليه فوق المكتب، يغلق عينيه وهو يحدثها..
يتحدثان في أشياء ليست لها أهميه عن الزفاف، وعن دراستها لمجرد سماع صوتها والتعارف على بعضهما البعض فقط..
يقاطعهم صوت آذان الفجر.. يستأذن منها ليصلي وهو في سعادة، تكاد تنطق بها عيونه..
تخفى سعادتها وتخشى أن يكون قد سمع دقات قلبها التي تتراقص داخل صدرها، يضع قبلة رقيقة على هاتفه ويتركه على المكتب.. ثم يعود، ويلتقطه، ويضعه في جيب بنطاله..
تنظر لهاتفها وكأنها تحلم، تقفز من على سريرها وتحدث نفسها: لقد تحدث إليَّ، أين أنتِ يا سعاد؟ ليتك كنتي هنا! تتراقص وتقفز في الغرفة وهي ممسكة بهاتفها، تحتضنه مرة، ومرة أخرى تقبله، يفاجئها مرة ثانية رنين الهاتف، إنه عاصم، لقد حفظت رقمه.. نعم يا عاصم!
يقول لها: توضأي واتركي الهاتف، تنظر حولها وتنظر لنافذته مذهولة، هل يراني ؟
ثم تجيب عليه ..أنا فعلاً كنت تركته وذاهبة لأتوضأ، يضحك ضحكة حنون، هيا! سوف أصلي، فلنصلِ معاً في نفس الوقت.
لم تجبه بأي كلمة غير حاضر، كم تمنت أن يكون الشخص الذي نبض له قلبها يخاف الله!
تترك الهاتف من يدها وتذهب للوضوء، يستدير هو بعيداً عن الشباك، فقط كان يراها..
أتمت صلاتها، وذهبت لسريرها محتضنة هاتفها، وصورة عاصم أمام عيونها، تتذكر كل شيء منذ أن قابلته فى الزفاف وحتى اللحظة ..حتى غافلها النوم....
صباحٌ مُريب
تفيق نور من نومها في الصباح على خبر أفزعها، تذهب مهرولة إلى غرفة نوم عاصم وتهزه بقوة..
-عاصم عاصم!
يصحو مفزوعاً من نومه..
- ماذا يا نور؟
-هل شاهدت ما حدث بالأمس ؟
-ماذا حدث؟ الزفاف كان رائعاً.
-لا ليس الزفاف، لقد تم قتل عمي جمال..
ينظر لها ويقول وكأنه لا يأبه..
-من أخبرك؟
-الخبر يتردد في التلفاز.
يذهب معها ليشاهد ماذا تقول الأخبار، تخرج أمهم وتجلس بجوارهم على كنبة الآنترية الموجودة في صالة الشقة وهي تقول:
رحمك الله يا استاذ جمال!
تنزل بعض قطرات الدماء من أنف عاصم، ينظر بعينه بعيداً عن نظرات عيون والدته وأخته له التي تكاد تتحجر من الخوف والقلق..

-ألم أقلْ لك أن تبحث عن علاج لهذا الأمر؟ كلما توترت نزفت أنفك!
-لا تقلقي يا أمي، إنه شيء بسيط.
-لا تخافي، كل شيء سوف يكون بخير..
يهم بالنهوض وهو يقول: سوف أبدل ملابسي وأذهب لأرى ماذا حدث..
الن تتناول إفطارك معنا؟
لا يا نور يجب ان أذهب لأرى ماذا يحدث؟.
تدخل والدته خلفه، يتحدثان بصوت خافت ثم يتركها و ينزل إلى الشارع يشترى إفطاراً لشخصان ثم يعود إلى عمارته ليذهب إلى عيادته الموجودة أسفل شقته، يفتحها بمفتاحه الخاص؛ فقد أعطى الممرض إجازة أمس ولمدة أسبوع..
يغلق الباب خلفه جيداً..
يُلقي الصباح على شخص مستلقٍ على سرير في غرفة في العيادة، ربما مريضٌ لديه!
يجلس على الكرسي الموجود بجوار السرير.. كيف حالك اليوم؟ هيا لنتناول الإفطار!
ثم يقول له: لقد أتيت لك أمس بملابس ثانية، لماذا لا ترتديها؟ ملابسك عليها دماء..
هيا، تناول إفطارك وبدل ملابسك حتى أغير لك على إصابتك..

رحلة شهر العسل
تجهز سعاد، وعمر حزم حقائبهم وهما في غاية السعادة، يتبادلان بعض النظرات والكلمات اللطيفة
يقاطعهم رنين هاتفه، يلتقطه من على المنضدة الصغيرة الموجودة بجوار السرير..
-أهلاً أبي، كيف حالك؟
يضحك والده..
-كيف حالك أنت يا بني وحال عروسك؟
يضحك بصوت عالٍ: لا تقلق يا أبي، إننا بخير، والدتك أرادتْ أن نتصل بكما لنطمئن عليكما قبل السفر، ها هي معك..
-ألف مبروك يا ولدي، هل أنتم بخير؟
-وسعاد هل هي بخير؟ هل نمتم جيداً؟
يضحك ضحكة رقيقة..
-نعم يا أمي، نحن بكل الخير، لا تقلقي..
-الحمد لله، أعطني سعاد لأهنئها..
ينظر لسعاد ويقول لها: أمي تريد أن تُحدثك..
تظهر على وجهها ملامح الخجل وهي تقول: أهلاً يا أمي.
-ابنتي الحبيبة! هل كل شيء بخير؟
-نعم يا أمي... ثم تسألها.. هل أنتِ سعيدة يا ابنتي؟
-نعم يا أمي..
تصمت لحظة والدة عمر ثم تسألها.. هل تحتاجان أي شيء قبل السفر؟ هل جهزتِ جميع احتياجاتك ؟
تضحك سعاد وتقول: نعم يا أمي، لا تقلقي.

والدة عمر وكأنها تذكرت شيئاً فتقول لها: ابنتي! سوف تجدين شنطة صغيرة بجوار السرير بها بعض الأشياء التي سوف تحتاجينها.
تضحك في خجل: نعم يا أمي، قد رأيتها اليوم وأنا أحزم الحقائب، شكرا لكِ.
-أنتِ ابنتي يا سعاد، سوف نترككما الآن حتى لا تتأخرا، إن احتجتما شيئاً اتصلوا بنا، سوف نشتاق لكما، هيا حبيبتي في حفظ الله..
ينظر لها عمر ويسأل: ما هذه الشنطة ؟ تضحك بخجل قائلة: إنها أشياء نسائية لا دخل لك بها
ينظر لها في دهشه ويقول هكذا إذاً أنتِ ووالدتي.
يضحك ضحكة حنون، ويستكملان معا حزم الحقائب..
تقول سعاد: عمر!
-نعم يا حبيبتي!
-سوف أتصل بأسرتي لأطمئن عليهم قبل أن نسافر، تعلم أن والدتي خجولة ولن تتصل الآن
-حسناً يا حبيبتي..
يا أم سعاد! انظري من يتصل بنا الآن! تُسرع من المطبخ، تلتقط الهاتف، تنظر به، يتهلل وجهها من السعادة، إنها سعاد ابنتي..
أهلاً ابنتي، اشتقت لكِ، كيف حالكما؟
-هل كانت ليلتكما سعيدة؟ لماذا صحيتما مبكراً؟
تضحك سعاد بصوت خجول وتنظر لعمر ..مهلاً يا أمي، لا تقلقي، كل شيء بخير.
-هل نسيتِ أننا سوف نسافر اليوم لقضاء شهر عسلنا؟
تضحك مسرورة: الحمد لله، كنت قلقة عليكما. أين عمر؟
-عمر بجواري..
حسناً حبيبتي، سوف أُعطى الهاتف لوالدك؛ يريد أن يحدثه، هل تحتاجين أي شيء قبل أن تسافري؟
-أحتاج دعواتكما لنا.
تلمع الدموع في عيون الأم فيشعر بها زوجها ويقول
-أعطني الهاتف يا أم سعاد لاطمأن على الأولاًد..
-كيف حالكما يا عمر؟
-بخير جداً يا عمي
يضحك والد سعاد قائلاً: جداً!؟
يضحك عمر: نعم يا عمي جداً
-أتمنى لكما السعادة يابني .هل تريدون أي شيء؟
شكراً يا عمي.
-لا تغفل عن سعاد يابني ..
-حاضر يا عمي، إنها روحي، لا تقلق ..
-ها هي سعاد تريد أن تسمع صوتك يا عمي.
-وأنا أيضاً أين هي؟
-أهلاً يا أبي، أشتاق إليك.
-وأنا أيضاً يا ابنتي.

-هل تحتاجين أي شيء يا ابنتي؟
-شكراً يا أبي، لا أحتاج سواكم.
سعاد تشعر بالألم في صوت والدها؛ فتحاول إخراجه من هذه المشاعر وتسأله
-أين نهى يا والدي؟
-لقد ذهبَتْ إلى الجامعة، سوف نبلغها أنكم اتصلتم..
-لا تشغلوا أنفسكم أنتم.
-حاضر يا أبي.
-وخافي الله في زوجك يا ابنتي ..
-حاضر يا والدي
-في حفظ الله يا ابنتي..
-كم أنا سعيدة يا أبو سعاد أنهما بخير وسعداء!
-الحمد لله يا أم سعاد، الآن فقط ارتاح قلبي.
يركب عُمر سيارته هو وعروسه وملامح السعادة تُداعب وجههم.
فى نهاية الحي المقيم به يوجد زحام، رغم أن هذه المنطقة تتميز بالهدوء..
تسأله سعاد ما هذا الزحام يا عمر؟
-لا أعلم يا سعاد، انتظري هنا، سوف أركن السيارة، وأرى ما يحدث، لا تخرجي من السيارة؟
يمشى بخطى واثقة، يتوجه لمكان الزحام..
-يوجد حرس كثير يعلمون شخصيته يقدمون له التحية
يفسح له أحد الحرس الزحام حتى يستطيع أن يدخل إلى الفيلا التي تقع علي بعد أمتار من مكان إقامته....
يقترب ويدخل من باب الفيلا، يوجد الكثير من الضباط ، ويوجد بعض المحققين وزميله في الدراسة أحمد سامي معهم، جثة ممددة على الأرض، ومدرجة بالدماء، مغطاة بملائة بيضاء..
يتوجه له أحمد ويلقى التحية: أهلاً يا عمر باشا، نعتذر عن الإزعاج في يوم زفافك..
يضحك عمر ضحكة ساخرة: نحن خُلِقنا لهذا يا أحمد..
-ماذا يحدث في فيلا أستاذ جمال؟ ولمن هذه الجثة؟
لقد تلقينا مكالمة من مجهول السادسة صباحا بأنه كان مار من أمام الفيلا وسمع صوت إطلاق نار..
-هل عرفتم من الذي أبلغ ؟
-لا، لم نتوصل له؛ فلم تكمل المكالمة دقيقة، وواضح أنه تخلص من الخط، وعندما توجهنا لهنا لنتحقق من صحة البلاغ، وجدْنا الأستاذ جمال قد فارق الحياة، وواضح أن هذه الحادثة قد نُفذت أمس من آثار الدماء الجافة على الأرض.
تُرى من فعل هذه الفعلة؟ فهو رجل وقور، ولديه سلسلة شركات النهضة للاستيراد والتصدير، ويمتلك أكبر فندق فى مصر ..هذا ما يبحث عنه الجنائيون الآن يا عمر، لعل بصمة أو شيئاً يكاد يكون صغيراً، يجدونه للقاتل فنستدل منه عليه.
-حسناً يا أحمد، بالتوفيق ان شاء الله، وأخبرني بكل جديد..
يضحك ضحكة بدون إحداث صوت
-لن أزعجك، سوف تتواجد معنا بعد شهر العسل.

يضحك عمر بسخرية: من الواضح أن العسل لن يكتمل.
يربت على كتفه، ويهم بالخروج من باب الفيلا، ويتلقى التحية مرة ثانيه من الحرس حتى يصل للعربة..
تتبدل ملامح وجهه تماماً ليكسوها اللطف والحنان، وقبل أن تسأله سعاد يجيب
-لا تقلقي يا حبيبتي، لا يوجد شيء يثير القلق..
-إذا ما هذا الزحام؟ ولمَ كل هذا الحرس يا عمر؟
-إنه أحد الأثرياء قد قام شخص مجهول بإطلاق النار عليه وقد توفى..
نظرة تعجب تكسو وجهها..
-وهل هذا شيء لا يستحق القلق يا عمر؟
-نعم يا قلب عمر؛ فهذا شيء أصبح عادياً نصادفه كل يوم -إن لم تكن كل ساعة-
مسكة حنون لخدها الأيسر: سوف تعتادين كل هذا..
يضحكان ثم يكمل طريقه حتي وصل إلى وجهتهما، ليبدأ أول يوم لهما في شهر عسلهما، يتقدم من العربة شاب بزي أنيق يأخذ مفتاح السيارة ليضعها في مكان الآنتظار، وأخرج الحقائب، وسلمها لشاب آخر، يرتدي نفس الزى الآنيق حتى وصلا إلى مكتب الاستقبال في الفندق، يرحب بهم الموظف، ويقدم لهم باقة زهور، ويقدم لهم التهنئة ،ويسلم مفاتيح جناح شهر العسل الذي حجزه لهما والده إلى الموظف حتى يقلهم لها، يصعدان معه، ويفتح لهما، ويضع الحقائب ويتمنى لهما السعادة، ويرحل.
تنظر سعاد إلى الجناح في دهشة، وتقفز فوق السرير المزين بالزهور والسعادة واضحة على وجهها، تنظر في كل مكان... زهور البنفسج التي تعشقها تملأ كل مكان، يقاطعها عمر قائلاً
-هل أنت سعيدة حبيبتي؟
تقفز على الأرض كما الطفلة، وتتعلق جيداً في عنقه، وتقول: بل أنتَ السعادة يا عمري
يحضنها بحنان، ويهمس لها: أحبك بحجم السماء يا من عزفتَ على أوتار قلبي حتى جعلته يستيقظ من جموده، يتبادلان نظرات الحب والمشاعر التي تفوق حجم الكلام...
رنين الهاتف يشاركهم اللحظة؛ فتظهر ملامح الغيظ والتذمر على وجه سعاد، عُمر أيضاً ظهرت عليه ملامح الغضب، ونظر إلى الهاتف وقال لها في خجل..
-إنه والدي حبيبتي، مؤكد أنه يريد أن يطمئن على سلامة وصولنا، سوف أنزل لطمأنته حتى تبدلي ملابسك.
يضع قبلة رقيقة على جبينها، ويقول: سوف أعود سريعاً.
تنظر إليه وكأنها تبادله فعلته وتقول..
-انا سوف أحدث نهى لحين عودتك.
يضحك بحنان ويقول: حسناً حبيبتي، كما تشائين، ويتركها وينزل....
فضفضة
منى! انتظري (منى رفيقة نهى المقربة منذ الطفولة وحتى الآن)

مرحبا نهى، وتضحك وهي تقول: قد كاد يضيع علينا اليوم؛ فقد نمْتُ متأخرة، أمس الزفاف كان رائعاً..
تبتسم نهى وتقول: كان رائعاً فقط! ألم تري عاصم! كم كان أنيقاً يا منى!

-نعم، لم أكن أعلم أنه بكل هذه الوسامة، وتضحك وتكمل: يا لكِ من محظوظة يا نهى!
ولكن تعالي هنا.. احكِ لي ماذا حدث؟ لقد شاهدتك وأنتِ ممسكة بيده.
-حسناً حسناً، سوف أحكي لكِ كل شيء فكل شيء كان كما الحلم..
-تعالي لنجلس على هذه العشب حتى موعد المحاضرة!
يجلسان على العشب وكأنه لا يوجد أي طلبة، كلاهما وعاصم فقط...
يقاطعهما صوت سمر.. هيا يا فتيات! أليس لديكما محاضرة الآن (سمر رفيقة دراسة فقط)
تقول منى: حسناً هيا يا نهى، سوف نكمل في الهاتف، تضحكان وتذهبان لتلقي محاضراتهما..
تعود نهى إلى شقتهم، تبحث عن مفتاح الشقة في حقيبة يدها، ولكنها لم تعثر عليه! تضع يدها على الجرس لتفتح لها أمها..
-أليس مفتاحك معكِ؟ لماذا لا تفتحين؟
-لقد نسيته يا أمي..
-حسناً بدلي ملابسك، وتعالي معي لنجهز الغداء.
تسير إلى المطبخ، وتسير خلفها نهى، وتسألها:
-ألم تتصل سعاد بكما؟
اتصلَتْ بعد ذهابك إلى الجامعة..
-وكيف حالها وعمر؟
-بخير، ومن المؤكد أنهم الآن في منتصف الطريق إلى وجهتهما.
-أتمنى ان يقضيا هناك أياماً طيبة.
-الحمد لله كم أنا سعيدة من أجلهما يا أمي! جميع صديقاتي تتكلمْن عن حفلة الزفاف، وكم كانت جميلة!
تلتفتُ لها بحنان وتضع يدها على كتفها: أتمنى أن أراكِ أنتِ أيضاً كما سعاد يا نهى في ثوبك الأبيض؛ لعل قلبي يرتاح من أجلكما.
تضحك وكأنها خجلة.. إن شاء الله يا أمي.
يقاطعهم صوت الأب المرتفع الصادر من الشرفة..
-هل عدتِ يا نهى؟
-نعم يا والدي.
تذهب إليه، يضع نظارة القراءة الخاصة به على المنضدة التي أمامه وهو ممسك بجريدته فيقول لها:
-هل سمعتي بما حدث؟
-ماذا حدث يا والدي؟
-يوجد خبر يقول أنه تم العثور على رجل أعمال مقتول في فيلته في نهاية الحى الذي يسكن به عُمر.
-ما سبب قتله يا والدي؟
-لم يذكروا أي شيء، يشكون في أنها سرقة.
تُمسك نهى الجريدة وتقول .. أتمنى ألا تعلم سعاد بهذه الحادثة؛ فهو يبعد عن مكان إقامتها بعض أمتار فقط..
-لا تقلقِ يا ابنتي، من المؤكد أن عمر لو علم -وهذا أكيد- فلن يخبرها..

-حسناً يا نهى، ساعدي والدتك في تجهيز الغداء؛ فهي واضحٌ عليها الإرهاق جداً منذ الأمس وطوال اليو،م وهي تقوم بتنظيف الشقة ولا تخبريها بشيء حتى لا تقلق..
-حاضر يا والدي، سوف أبدل ملابسي وأذهب إليها..
تتوجه إلى غرفتها، تغلق الباب خلفها، تُخرج هاتفها من الشنطة، وتبحث بعيونها بحثاً عن آخر مكالمة، تقع عيونها على اسم عاصم، تحتضن الهاتف وتتمتم: أتمنى أن يتصل مرة ثانية.
تترك هاتفها، وتبدل ملابسها، وتذهب لمساعدة أمها..
-هل جهزتي السلطة يا أمي؟
- لا حبيبتي، لقد غسلت الخضار فقط، وانتظرتك لتجهيزها حتى أنتهي من تسوية الطعام..
-حسناً يا أمي
تجلس على منضدة صغيرة تتوسط المطبخ، تضع الخضار أمامها، وتمسك بالسكين محدثة نفسها وكأنها في عالم ثانٍ خُلِق لها وحدها: ليت عاصم يتصل الآن، كم أشتاق لسماع صوته! هل يتذكرني كما أتذكره أنا هكذا؟ ..تُرى ماذا فعل اليوم؟ ..هل ذهب لعمله؟
تسمع صوت رنين الهاتف، تقفز من على الكرسي، وتنسى أن أمها تقف بجوارها، تكاد تقع وهي تهرول إلى غرفتها..
-إلى أين أنتِ ذاهبة؟
تتراجع بعض الشيء..
-لعلها سعاد يا أمي! سوف أرى الهاتف وأعود لكِ.
-حسناً، اذهبي.
تتمتم الأم ببعض الكلمات وهي تقول: متي ينتهي قلقي عليكِ يا نهى؟
تسرع ودقات قلبها تكاد تتوقف، وتقول لنفسها: من المؤكد أنه عاصم، تلتقط الهاتف بسرعة قبل أن ينتهي الاتصال..
-أهلاً عاصم..
تسمع ضحكة بصوت مرتفع..
يحمر وجهها خجلاً وهي تقول فى ارتباك:
-سعاد!
-نعم سعاد أيتها الفاتنة، ليلة واحدة بعدت عنكِ فيها تنسيكِ اسمي! احكِ لي ماذا حدث..هل عاصم هذا هو شاب النافذة ؟
تسكت برهة ثم تستطرد قائلة.. نعم يا سعاد..
-احكِ لي كل شيء.
-حسناً كنت سوف أحكي لكِ ولكن دعكِ مني الآن، حدثيني ماذا فعلتم؟
ثم تسرع: أقصد هل سافرتم؟ وكيف حالك وحال عمر؟ هل أنت سعيدة؟
إني أفتقدك، أين أنتم الآن؟
-مهلا يا نهى، أنا بخير وسعيدة.
أما عمر فقد جاءه اتصال؛ فخرج ليتحدث..
-وقد اتصلنا في الصباح، ولكنكِ كنتِ قد ذهبتِ إلى الجامعة.
-نحن في الفندق، وصلنا من ساعة.
تسمع صوت عمر.

نعم ياعمر! أنا آتية..
إنه عمر يا نهى، سوف أعاود الاتصال بكِ لنحكي في كل شيء، ولا تقلقي علينا.
-حسناً يا سعاد، ولتبلغي عمر سلامي، في حفظ الله.
تترك هاتفها، وتعود لأمها لتجدها أنهت الغداء، تقبلها وتقول لها: ما حرمني الله منكِ يا أمي..
-ولا منكم يابنتي، من كان المتصل؟.
-سعاد يا أمي.
-هل وصلوا؟
-نعم يا أمي.
-سوف أنادي والدي ليتناول الغداء...
مكالمة سرية
يُسرع عمر بالنزول ليتلقى المكالمة الهاتفية التي وردته من الضابط أحمد
-أهلاً يا أحمد، من المؤكد أن هناك أحداثاً جديدة تجعلك تتصل بي الآن.
يضحك أحمد وهو يقول: نعم يا عمر، إليك هذه المعلومات
لقد وجدنا خزانة المكتب مفتوحة ولا يوجد بها أي أموال؟
يقاطعه عمر قائلاً:هل يوجد عليها بصمات؟
-لا يا عمر، لم يتركْ لنا السارق أي بصمة..
يقاطعه مره ثانية: وابن القتيل!
-لم نستدل على مكانه حتى الآن، ووجد المعمل الجنائي فصيلة دم لشخص آخر غير فصيلة دماء القتيل ...وجدوها على الجثة، ووجدنا بقبضة يده زراً، لعله لجاكت بدلة القاتل..
يبتهج عمر ويقول: هذا خبر رائع، إذاً القاتل قد ترك لنا أثراً دون أن يشعر؟
-نعم يا عمر، والشك يحيط بابنه المدلل، فإن كانت فصيلة دمائه نفس الفصيلة التي وجدت على القتيل، إذاً من المؤكد ببعض الضغط عليه، سوف يعترف بالجريمة، ونكون قد حللنا هذا الغموض.
-نعم يا أحمد، ابحثوا عن الابن في كل مكان، لا تتركوا أي أحدٍ له علاقه به حتى تتبعوا أثره، وعندما تعثروا على أي شيء جديد أعلمني.
ثم وكأنه تذكر شيء ولكن! -وهو يضحك- حددْ الوقت المناسب للاتصال، لا تسبب لنا مشاكل مع عروسنا الرقيقة..
يضحك أحمد بصوت مرتفع..
-أخيراً قد أتتك من تخشى إغضابها! حاضر يا باشا، سوف أرسل لك (مسج) ولن أزعجك بصوت الهاتف.
يتبادلان الضحكات ويغلق هاتفه.
ويذهب لعروسه...
لحظات مع الله
في الشقة الدافئة البسيطة تنتهي نهى وأسرتها من تناول الغداء، يعلو صوت المؤذن بآذان العصر، يهم الأب بالوقوف وهو يقول موعد الصلاة: من سوف يسابقني إلى الجنة (فهو منذ هذه الحادثة لا يتردد على المسجد -إلا في صلاة الجمعة- بسبب إصابته)
ضحكات رقيقه من الجميع...

تقول الأم:جميعاً إن شاء الله يا أبو سعاد سوف نكون خلفك.
هيا يا نهى لنصلى جماعة خلف والدك!
ينهض الجميع ويتم وضوءه، يفرشون سجادة الأرض بسجادة الصلاة في المكان المخصص للصلاة بجوار طاولة الطعام الصغيرة، يردد الأب الآذان وخلفه الزوجة وابنته، ينوون صلاة العصر السرية بقلوب متعلقة برضى الله..
تدعو نهى في صلاتها وهي ساجدة (فالجميع في هذه اللحظة يطلب من الله وحده جميع ما يتمناه دون أي خجل منه؛ فهو دائما يستمع للعبد إذا دعاه) دون أن تشعر بأن يجمعها الله وعاصم بالحلال وأن يكون لها زوجاً صالحاً إن أراد الله، يرددون التحية وهم واثقون بأن الله سوف يعطيهم حتى يرضوا ولن يبخل عليهم بعطاياه..يسلمون ويتمنون أن يتقبل الله منهم صلاتهم يظل الوالد على سجادته يسبح، وتنهض الأم لتكمل واجباتها المنزلية، وتستأذن نهى وتدخل غرفتها لتستريح بعض الوقت..
تدخل نهى غرفتها وتغلق خلفها الباب، تذهب إلى شرفتها، تجد نافذة عاصم مفتوحة، تسرع لتأتي بكرسيها المفضل، وتجلس خلف ستارة الشرفة لعلها تراه، وفى نفس الوقت تستريح بعض الوقت..
يتهلل وجهها؛ لقد خرج، وتُحدِّث نفسها كم هو وسيم! لو يعلم كم أنا أحبه، لظل واقفاً في هذه النافذة دون ملل! ..ينظر إلى شرفتها، يحمر وجهها خشية أن يكون قد رآها، وبالفعل قد رأى ظلها خلف الستارة، وعلم أنها تنظر إليه؛ فابتسم ابتسامة اقتحمت قلبها، ويلوح لها برأسه كما لو كان يقول لها انا أراكِ ..تنهض مسرعة من على كرسيها، والارتباك واضحٌ على ملامح وجهها وحركاتها التي ليس لها أي تفسير وتحدث نفسها وهي تنظر في المرآة: هل رآني؟
وإن لم يكن قد رآني لمن إذاً قد تبسم؟ تساؤلاتٍ كثيرة في رأسها، أوقفها صوتُ الهاتف، تسرع وتلتقطه، إنه عاصم .
هل أرد عليه أو أتركه؟ ماذا أفعل؟ الحيرة على وجهها، ينتهي رنين الهاتف، تكاد تبكي فكم كانت تشتاقه!
يعاود الاتصال، وهذه المرة لم تدع لنفسها برهة لتفكر، تلقت المكالمة وفاجأها بكلمة وحشتيني... تصلبت قدماها، وعيونها، وكل شيء بجسدها الجميل، حتى كاد قلبها يتوقف إلى أن داهمها هو وأكمل: نهى لقد اشتقت سماع صوتك، ألم تشتاقي لي؟
تتمتم في نفسها: يالجرائته! وتبتسم وكأنها سعيدة بهذه الجرأة.
لا يدع لها فرصة لتفكر فيقول لها: أعلم أنكِ تستمعي لي وأنكِ كنتِ في شرفتكِ تنتظرينني كما بنتظرتك أنا ساعاتٍ طويلة من الأمس وحتى هذه اللحظة..
-نهى! ألن تجيبي علي؟
تكاد سخونة يدها تذيب الهاتف، ردت بصوت خافت..
حنعم يا عاصم
يحاول أن يجعلها تتكلم؛ فيفتح معها حديثاً بقوله:هل تعلمين أنني منذ أن انتقلنا إلى شقتنا هنا وأنا أتمنى أن أتكلم معكِ؟ فكم جلست خلف نافذتي أترقب نور غرفتك!
تسرع هي وينفك جمودها
-أنت كنتَ تنتظرني؟
-نعم

تضحك بصوت رقيق..
-لماذا تضحكين؟
-لأنني أنا أيضاً كنت أراقب نافذتك الصغيرة منذ أن سكنت بالجوار
ضحكات من قلبهما والسعادة واضحه عليهما..
ويتجاذبان أطراف الحديث ليتعرفا على بعضهما أكثر..
وهو يتحدث تسأله..
-عاصم!
-نعم يا نهى!
-لماذا وجهك دائماً عابس كما لو كان هناك شيء بداخلك ثقيل على قلبك وتخفيه؟
يستغرب من السؤال؛ فهو فعلاً هكذا، ويتهلل وجهه..إنها فعلاً تحبني ولهذا شعرَتْ بما في داخلي..
يرد عليها: نعم يا نهى، في حياتي الكثير لا يعلمه عني إلا القليلون، وأنتِ الاقرب إلى قلبي، ومن حقك أن تعلمي ما بداخلي..
ويكمل... وكم أنا سعيد لأنكِ شعرت بما بداخلي!
-احكِ لي يا عاصم، فأنا أتمنى أن أشاركك حتى ألمك.
يتبسم كما لو كان لا يصدق نفسه، ويجلس على الكرسي خلف نافذته المفتوحة، يطلب منها أن تجلس أمامه وتزيح الستارة؛ فلا أحد من السكان سيراها غيره هو..
تفعل ما طلبه منها، وبدون تردد كما لو كانت تنتظر منه أن يطلب فقط..
جلسا وهما ينظران لبعضهما البعض لأول مرة، ولا ساتر يحول بينهما.
حكى لها جميع تفاصيل حياته منذ أيام الثراء وحتى الآن..
(ولكنه حجب عنها حقيقة أن والد كان رجل أعمال غني)
تظهر على وجهها أثناء سرده علامات تعجب، وأخرى دهشة، وثالثه ألم، وبعد أن ينتهي تسأله
هل رجل الأعمال الذي قُتِل هو نفسه صاحب الفندق الذي تعمل لديه؟
يسكت برهه ثم يجيبها: نعم يا نهى، هو.
تُرى من فعل هذه الجريمة يا عاصم، هل لديه أعداء؟
يصمت ثم يقول: لا أعلم يا نهى، فالجميع لديه أعداء.
ثم يضحك ويقول دعينا منه الآن، فهذا شان المحققي..
يتبادلان الضحكات ويكملان المكالمة كما أي حبيبين..
بعد شهر
تمر الأيام سريعاً
ينتهي شهر العسل، ويعود عمر وعروسه لبيت الزوجية -الفيلا الموجودة في الحى الراقي-
وفي خلال الشهر الفائت كان الاتصال بين عمر والمحقق أحمد لا ينقطع أبداً، كما لو كان قد تولى القضية، رغم عدم تواجده!
اليوم عمر وعروسه معزومان لتناول العشاء لدى والده، ولكن أولاً يستأذن من عروسه ليذهب إلى مكتبه ويتابع سير القضية..
وهي أيضاً تأخذ جولة في الفيلا، وكأنها تحب أن توطد العلاقه معها لتتأقلم على الحياة بها وتعلن عن شخصها بين الخدم الموجود لخدمتها..

أما نهى، فقد أصبح رباط الحب بينها وبيم عاصم أقوى مما يستطيع أي شخص إبعادهم عن بعضهما البعض..
أصبحَتْ تشعر به -حتى في غيابه- تشعر بما يشعر به إن كان سعيداً أو مشغولاً من مجرد سماع صوته.. وهو أصبح متلهف للحديث معها كل لحظة لولا أنه يخشى عليها من الإرباك أو التسبب لها في مشاكل مع والدها.. ولكن لا يبات ليلته إلا وهو ممسك بهاتفه، ويستمتع بعذوبة صوتها، ويفرغ ما لديه من أحداث يومه لها دون أن تسأله...فهكذا أصبح كلاهما كتاباً مفتوحاً لبعضهما البعض، ولكنها تشعر أحياناً أنه يُخفي عنها شيئاً، ولكن لا تجادل معه في هذا الأمر ربما يكون شيئاً خاصاً بأسرته لا يحب أن يتكلم عنه..رغم عمرها الصغير، فهي ناضجة الفكر وتستخدم عقلها مع قلبها، وهذا ما يجذب لها عاصم أكثر وأكثر؛ فهي ليست فتاة تافهة تنساق وراء الكلمات المعسولة بلا تفكيرمثل باقي الفتيات من نفس عمرها...
الأيام تمر والهدوء سائد بين الجميع، كل شخص سعيد بلحظاته التي تمر بها حياته
تُرى هل سوف يظل هذا الهدوء أم ماذا سوف يحدث؟؟
يتوجه عمر إلى مكتبه ليتسلم عمله بعد انتهاء إجازته التي لم تخلُ من العمل بدون أن تشعر عروسه..
يستقبله الجميع: البعض من الضباط والأمن يلقون علية التحية والتهنئة بطريقة عسكرية، والبعض الآخر من أصدقائه يحتضنونه ويقدمون له التهنئة الأخوية، وبعد الانتهاء يتحدث مطولاً مع المحقق أحمد في خصوصية ليُلِمَ بكل أحداث مقتل رجل الأعمال عن مقربة، وليتوليا معاً التحقيق في هذه القضية...
يسأله: هل توصلت إلى اي خيط يصلنا بابن القتيل؟
-يوجد بعض الشكوك حول صديق له نحاول أن نؤكدها قبل أن نستخرج أمراً لتفتيش منزله..
-إذاً أخبرني بالتفاصيل، ما نسبة هذه الشكوك؟ وما هي؟ ومن المخبر المسئول عن المراقبة؟ وأين يسكن صديقه هذا؟
يضحك المحقق أحمد ضحكة بسيطة ثم يقول: تمام لا تستعجل، سوف أُطلعك على كل شئ ونحن نحتسى قهوتنا...
يتبادلان الضحكات ثم يسود الصمت الغرفة -إلا من صوتهما ونظراتهما الجادة لبعضهما البعض-
*****لقاء غير متوقع *****
تذهب نهى إلى الجامعة وتذهب إلى كانتين الجامعة، يتغير وجهها وتظهر عليه معالم الدهشة هذا عاصم! ماذا يفعل هنا؟ تُرى هل اتى لمقابلتي؟ او أن له صديقاً هنا؟ ولكن لو له أصدقاء هنا كان سوف يخبرني! تُرى لماذا هو هنا؟ تساؤلات كثيرة تدور برأسها..
يقترب منها وهو مبتسم وهي تكاد تموت خجلا ..أهلاً بكِ آنسة نهى ..تنظر حولها وكأنها تخشى أن يراها أحد.. ودون ان تمد يدها للسلام ترد عليه: أهلاً بكَ يا عاصم.
وتستكمل: خير، هل حدث شيء ؟
يبتسم ابتسامة رقيقة وهو يقول: كل شيء بخير لا تقلقي..
-إذاً لماذا أتيت إلى هنا؟
-هل امشى؟
لا لا لم أقصد هذا ولكن.. وقبل أن تكمل يقاطعها..

-أردت أن أكلمك في موضوع واحب أن أرى ملامح وجهك وأنا أتحدث بخصوصه؟
يحمر وجهها خجلا وتقول: تُرى ما هو الموضوع؟
-ألن تجلسي؟ تفضلي! نحن لا نسرق يا نهى، نحن في الجامعة بين زملائك وليس خارجها..
-أعلم يا عاصم، ولكن اول مرة أواجه هذا المواقف..
-لا تقلقي يا نهى، لن أسبب لكِ أي ضررا أبداً؛ فأنا أخاف عليكِ مثل أختي نور.
بسمة خجولة منها وتقول: أعلم يا عاصم
يبتسم بسمة خفيفة ويقول لها: موعد محاضرتك الأولى الساعة الثانية عشر ..ونحن الآن الحادية عشر ونصف. أمامنا نصف ساعة لنتحدث، تفضلي بالجلوس، لا تقلقي..
تجلس وهي تنصت له بلهفه، وتنظر لشفتيه والكلمات تخرج منها، وتنظر لعيونه التي لم تنظر لها عن كل هذا القرب من قبل، وتنظر لجميع حركات جسده؛ فهذه أول مره من بعد زفاف أختها تتحدث إليه وجهاً لوجه دون حائل ستارة الشرفة بينهما..
-نهى!
-نعم يا عاصم!
-أنا احبك...
يحمر وجهها وترتبك، وقبل ان تتكلم يسارع هو: لقد حكيت لكِ كل شيء عن حياتي وعن ظروفي، ولا أستطيع أن أكمل حياتي بدونك، هل تقبلين بي زوجاً لكِ؟
تنظر في ذهول وكأن وقعْ المفاجأة أصابها بالخرس ..
-نهى نهى! لم تجيبيني، هل توافقين؟
دون تردد تقول: نعم يا عاصم؛ فهذا كان حلمي منذ سنوات مرت ..
تظهر على وجهه ملامح السعادة والراحة ثم يستند بظهرة إلى الكرسي ويقول: الحمد لله أن وفقنى الله..
ثم يقول لها في لهفة: إذاً أخبري عمي وخذي منه موعداً لزيارتكم أنا وأمي ..
ترد في سعادة: حاضر يا عاصم، وكأنها تذكرت شئ فتقول ولكن يا عاصم!
-ولكن ماذا يا نهى؟
-سوف أخبر والدتي بكل شئ أولاً ثم تخبر هي والدي؛ فأنا أخجل أن أقول له..
-حسناً يا نهى، وانا سوف أنتظر الرد وأتمنى أن يقبلوا بزيارتي..
-إن شاء الله يا عاصم، سوف يوافق والدي..
منى تنادى عليها من بعيد فقد أوشكت المحاضرة على البداية.
تلتفت لها وتجيبها...
-حاضر يا منى، أنا قادمة...
تنظر لعاصم الذي يقف وينظر لها هو الآخر كما لو كان يتمنى ألا تنتهي المقابلة أبداً، ويقول حسناً يا نهى اذهبي، هل تحتاجين إلى شيء؟
-شكرا يا عاصم، فقط أن تحترس لنفسك من أجلي..
بسمة من القلب، ويقول في صوت تكاد تسمعه: وأنتِ أيضاً يا حبيبتي..
تذهب إلى منى..
ومنى يظهر على وجهها الكثير من التساؤلات..
وقبل أن تتكلم تقول لها نهى وهي تضحك في سعادة، وتكاد تطير من على الأرض: سوف

أحكي لكِ كل شيء، لا تقلقي، ولكن لنحضر المحاضرة أولاً!
تتشابك يداهما كما الأطفال ويسرعان للحاق بالمحاضرة..
تكاد تتكيف سعاد على مسكنها الجديد، ولكنها تفتقد عمر؛ فتمسك بهاتفها ثم تتركه مرة أخرى وهي تتمتم.. لعله يعمل الآن؛ فإن عمله حساس ولا يليق أن أسبب له إحراجاً..
ثم تمسك بهاتفها مرة ثانية وهي تقول ..ولكني أشتاق له.. ثم تتركه مرة ثانية وتنادي على الخادمة لديها لتحضر لها عصير برتقال، وقبل أن تأتيها الخادمة.. تسمع صوت الهاتف وتسرع إليه، تُطالعه لتجده عمر، يتهلل وجهها بالسعادة وكأنه قد أنقذها من تضارب أفكارها، وتسرع في لهفه قائلة: عمر لقد اشتقت لك..
يضحك بصوت مرتفع: بل أنا من اشتقت لكى حبيبتي، ولكن لماذا لم تتصلي بي إن كنتِ قد اشتقتي لي، تزم حاجبيها كالطفلة وتقول له: خشيت أن اسبب لك إحراجاً بين زملائك، المرة القادمة سوف أقتحم مكتبك..
يضحك بصوت عالٍ: كما تشائين حبيبتي..
تقاطعه وهي تقول: أين أنت؟ أسمع صوت عربات؟
-نعم حبيبتي، أنا قادم في الطريق، يتهلل وجهها مرة ثانية: لا تتأخر..
-حاضر، أقل من نصف ساعة وسوف أتواجد عندك، لا تغلقي الهاتف، سأظل معكِ حتى أصل، ولكن يا عُمر هذا ليس صواباً أن تتحدث وأنت تقود العربة.. هل تخافي علي؟
-ماذا تقول؟ أنتَ حياتي، كيف لا أخاف عليك!؟
يشعر بحزن فى صوتها، فيضحك ضحكة حنون: أعلم حبيبتي، أنا فقط أداعبك، لا تقلقي أنا لا أقود؛ معى السائق، فأنا عشقت الحياة من اجلك..
تبتسم بخجل: أنتَ الحياة يا عمرى أنت..
تسمعه وهو يقول: انتظر هنا لحظة..
بسرعه تسأله: لماذا توقف السيارة؟ لا شيء حبيبتي، كنت أرى شيئاً، فقط لحظات وسوف نكمل ثم يكتب ورقة للسائق ليحضر له أزهار البنفسج التي تحبها سعاد من المحل الذي أوقف السيارة أمامه..
ثم يقول لها: هل جهزتي يا حبيبتى للذهاب عند والدي؟
-نعم ياحبيبي، سوف أرتدي فقط الحجاب عندما تعود...
يضحك ويقول: تعلمين أنني أراكِ دائماً جميلة.
تضحك كطلفه وتقول له: ودائرة شعرى ألا تحبها!
يضحك ضحكة يكاد المار أن يسمعها ويقول: جزاكِ الله يا سعاد، والله دمعت عيوني من الضحكات ..حتى دائرة شعرك أنا أعشقها، ولكن قد حرمني منها السشوار.
يتبادلان الضحكات والمزاح لحين وصولة..
والدة عمر تحدث والده وهي تنظر فى ساعتها..
محمد! اتصل بعمر واعلم منه عن مكان تواجده؛ فقد أوشك الطعام على الانتهاء، وأخشى ان يتاخر هو وعروسه.
يرد عليها بصوت رزين..
-لا تقلقي، عندما ينتهي سوف يأتي، لا تشغليه بالاتصال الآن.
-ألا تعلمي أنهما مازالا عروسين؟

تستدير وهي تتمتم..
-أنت هكذا دائماً، كل شيء عندك لا يستدعي القلق...
ها قد وصلنا حبيبتي، تسرع بالنزول من غرفتها وتقول للخادمة: أنا سوف أفتح الباب، اذهبي أنتِ، ومازالت ممسكة الهاتف في يدها.
يضحك عمر وهو يسمعها تقول هكذا للخادمة؛ فهو يعلم مقدار غيرتها علية حتى من الخادمة..
وتفتح هي الباب وترتمي في حضنه كما الطفلة التي وجدت والدها يغلق هاتفه ويضعه في جيبه ويكمل عناقها ثم يعطيها أزهارها التي تفضلها، تمسك بها وتقربها من أنفها وتتنفس عطرها وتقول له كم أحبك...
يداعب خصلات شعرها ويقول لها هيا: حبيبتي، لترتدِ حجابك حتى لا نتأخر، وهما بالطلوع إلى غرفتهما..
والدة عمر تنظر في الساعة، وتقول: لقد أقبلَت ْعلى الثامنة مساءً ولم يأتيا حتى الآن..
تذهب مرة ثانية إلى المكتب.. ينظر لها الزوج من أسفل نظارته وهو ممسك بقضية يطلع عليها ويقول لها:
-ماذ حدث يا أم عمر؟
تقول بصوت غاضب: إن لم تتصلْ، سوف أتصل أنا بهم، تسمع صوت الخادمة وهي تقول:
-أهلاً بحضرتك يا عمر باشا، أنرْتَ المكان..
تسرع بدون كلمة خارج المكتب، وتنظر بعتاب لعمر وهي تقول له: لماذا تأخرْتَ هكذا وتحتضنه ثم ادركت ان سعاد بجواره تبسمت وعانقتها وهي تقول كيف حالكم يا ابنتي لقد اشتقت لكم، كنت أنتظركم من ساعات مضت..
ينظر لها عمر ويعطيها هدية صغيرة، ويقول لها: هذه سوف تنسيكِ الحزن يا أمي ..تضحك بصوتٍ عالٍ وتقول له: تعلم نقطة ضعفي يا عمر، وتنظر لسعاد، وتفتح الهديه ،وتقول لها :أنا أعشق العطور ولا أقوى على مقاومتها. تضحك سعاد وهي تقول: أعلم يا أمي..
يخرج الوالد من مكتبه وعلى وجهه ملامح السعادة، يستقبل العروسين بين يديه: أهلاً بكما يا أولاًدي ٱشتقنا لكما. .ثم يضحك بصوت عالٍ وهو يقول: كادت أمكما تذهب إليكما لإحضاركما يضحك الجميع، في حين جهزت الخادمة الطعام بجميع ما لذ وطاب من الطعام الذي يحبه عمر وعروسه، ويلتفون جميعا حول الطاولة، ويتبادلون الحكايات عن شهر عسلهما وحتى عودتهما...
****
تعود نهى من الجامعة وهي مشغولة الفكر، هكذا ظهرت على ملامح وجهها وتصرفاتها؛ فقد دخلت إلى غرفتها دون أن تذهب إلى المطبخ، وتستكشف نوع الطعام الذي قامت بطهيه أمها..
ولم تذهبْ للشرفة في غرفة والدها لتلقي عليه التحية وتُعْلِمَه بقدومها، بل دخلتْ غرفتها وجلست أمام المرآة شاردة..
تفكر كيف تخبر أمها عن عاصم، تدق الأم باب الغرفة، تدخل وتسألها: ماذا بكِ يا نهى؟ ماذا حدث يا ابنتي؟ هل أنتِ بخير؟
-نعم يا أمي انا بخير، وتضحك ضحكة فاترة ولكنـ....
تقاطعها الأم: ولكن ماذا؟
أريد أن أحكي لكِ شيئاً ولا أريدك أن تغضبي مني..

تفك الأم مريلة المطبخ، وتضعها جانباً ثم تجلس على طرف السرير، وتنظر إليها وتلمس كتفها بيدها وتقول...
منذ متى وأنا أغضب منكِ يابنيتي؟ لا تُقلقيني أكثر من هذا، احكِ لي!
تُخفض رأسها وهي تقول: الدكتور عاصم جارنا يريد أن يتقدم لخطبتي
تحتضنها الأم وهي تقول: وهل هذا ما يقلق؟ أنا من كنت أموت خوفاً أن ينكسر قلبك ولا يأتي لكِ، الحمد لله سوف أخبر والدك..
وتهم بالوقوف..
أمي! انتظري، هناك شيء آخر.
-ما هو يا نهى؟

-لقد حضر عاصم اليوم إلى الجامعة وتحدث معي..
تتغير وجه الأم في غضب
-وكيف يفعل هذا؟ لماذا لم يحضرْ إلى والدك مباشرة؟
-أمي! لقد كان قلقاً من أن يرفضه والدي بسبب ظروفه المادية؛ فطلب مني أن أخبركم أولاً..
لمسة رقيقة من أمها على وجنتها... لا تقلقي، إنه شابٌ طيب، ولم نسمع عنهم إلا كل الخير، لا تقلقي سوف أخبر والدك بعد الغداء..ولكن أولاً هيا لنضع الطعام على المائدة حتى لا يغضب والدك.
تضحك في سعادة وتحتضن أمها وهي تقول: حاضر يا أمي، سوف أبدل ملابسي فقط، وأسرع إليكِ.
يتناولون الغداء في صمت إلا من نظرات الأم والابنة لبعضهما البعض في سعادة، وكما العادة انتهوا وانفضوا من حول المائدة لصلاة العصر جماعة.
تدخل نهى المطبخ لتنهى غسيل الأطباق ووضع باقي الطعام في الثلاجة
وهي في حيرة... هل سوف يوافق والدها علي لقاء عاصم أو لا؟
تجلس الأم بجوار زوجها في الشرفة، وتعرض عليه الموضوع وهي تبتسم:
-هل ترى هذه الشقة المقابلة لنا يا أبو سعاد؟
-نعم أراها؟
-هل تعرف الدكتور عاصم المقيم بها؟
-نعم، إنه شابٌ خلوق؟
-ماذا حدث يا أم سعاد؟ هل هناك شيء أصابه؟
-لا لا، الحمد لله بخير ولكنه يريد أن يزورنا. .ينظر لها نظرة دهشة...
-ولماذا ؟
تضحك قائلة:
-ولماذا يريد شاب مثله زيارتنا؟ إنه يريد الزواج من نهى!
يصمت الأب ثم يقول..وكيف تعرف عليها يا أم سعاد؟
تصمت برهه ثم تقول: أليس جارنا؟ من المؤكد أنه يراها في الشرفة أو الشارع، ولكنه شاب يحبه الجميع ويحترمه، ووالدته لم نرَ منها إلا كل الخير منذ أن انتقلت إلى هنا..
يضحك الأب: هكذا إذاً، فليقدم الله ما به الخير..

تقف في سعادة: إذاً، سوف أبلغ نهى أن تقول له أنك وافقت على الزيارة.
ينظر لها نظرة تكاد تفتك بها..
-آقصد سوف أبلغ والدته بأنك وافقت على الزيارة.
-هل يا تون غدا؟
-حسناً يا ام سعاد، غداً بعد صلاة العشاء..
تهرول الأم في سعادة إلى نهى، وتضمها بكل قوة وهي تقول: قد وافق والدك، ألف مبروك
تضحك نهى من السعادة: فعلا يا أمي!؟ هل وافق أبي؟ هل ابلغ عاصم بأن يأتي؟ هل أنتِ متأكدة؟
-نعم يانهى، أخبريه أن يأتي غداً بعد العشاء، ولكنـ..
-ماذا يا أمي؟
اطلبي منه ألا يخبر والدك أنه ذهب إلى الجامعة، وأن والدته هي التي طلبت مني؛ فأنتِ تعلمين والدك جيداً، لو علم بهذا لن يقبله أبداً.
-حسناً يا أمي، سوف أخبره.
تهرول إلى غرفتها، وتكاد قدماها لا تلامس الأرض من السعادة، تلتقط هاتفها وتتصل بعاصم
هو خلف نافذته، ينتظر اتصالها فى قلق وترقب، يسرع إلى الهاتف ويرد عليها مسرعاً:
طمأنيني يا نهى، هل أبلغتِ والدك؟
تضحك وهي تقول: نعم ياعاصم، وينتظرك غداً بعد العشاء.
يتنفس الصعداء ويقول: الحمد لله، كم كنت خائفاً! سوف أخبر والدتي ونور، ونكون عندكم فى الميعاد.
-نهى!
-نعم ياعاصم!
-لو يعلم والدك حجم حبك فى قلبي، لطلب مني أن أرفق بقلبي؛ فقد كاد يتوقف من السعادة
تضحك ويبادلها الضحكات.
تطرق أخته باب غرفته، يستأذن من نهى ليفتح لأخته الباب، وتقوم هي بالاتصال بسعاد لتخبرها بهذا الخبر الذي كانت تنظره معها...
يفتح عاصم الباب ويقول لأخته: ماذا بكِ يا نور؟ ماذا تريدين الآن؟
تضحك ضحكة شقية: هكذا إذاً! ماذا أريد الآن؟
وتضحك بصوت عالٍ وتقول: لم تعد بحاجة لي!
يضحك ضحكة ماكرة: أنتِ حبيبتي، ويلف ذراعه حول كتفها ويقول: تعالي معى؛ لدى ما أقوله لكما أنتِ وأمي.
تجلس الأم فى صمتٍ فى الصالة، أما التلفاز على الكنبة الطويلة يحيطانها هو وأخته بالجلوس بجوارها، ويمسك ريموت، ويخفض صوت التلفاز وهو يقول لها: أمي! أريد أن أقول لكِ شيئاً
تنتبه له وهي تقول: ماذا ياعاصم؟
-أمي! أنتِ تعلمين أني أحب نهى بنت الأستاذ منير جارنا، وأريد أن أتقدم لها.
-نعم يا بني، وأتمنى هذا.
يضحك ويمسك يدها ويقول: وقد آن أوان تحقيق الأماني يا أمى، لقد قبل عمي منير أن نزوره غداً

تقفز نور من على الكرسي وتقوم بالقفز مراتٍ ومرات وهي تقول: سوف يصبح أخي عريساً، أنا سعيدة، وترتمي عليه وتحتضنه..
تظهر السعاده على وجه الأم قائلة: أنا سعيدة من أجلك يا بُني ثم تتغير ملامح وجهها إلى قلقٍ واضح وتقول...
ولكن يا عاصم..
ينظر لها فى جدية ويقول: لا يوجد لكن يا أمي سوف نزورهم غداً.
تنظر له وتقول: حسناً يا بني، وليفعل الله ما يريد.
يهم بالوقوف، وكأنه تذكر شيئاً ثم يهم بالوقوف وهو يقول: لدى مشوار.
تنظر نور فى ساعتها وهي تقول: الآن!
الوقت قد أقبل على منتصف الليل، لن أتأخر.
تقول له: ولكن ياعاصم أنت لم تعد تذهب إلى الفندق منذ مقتل عمي جمال
إلى أين أنت ذاهب؟
لا تقلقي يانور، نصف ساعة فقط وسأعود..
تنظر له أمه، وكأنها تعلم إلى أين هو ذاهب فتقول: اتركى أخاكي يا نور؛ فهو لم يعد صغيراً يمشي ويغلق الباب خلفه، ينزل إلى عيادته ويلقى التحية على الشاب الموجود ويتحدثان معاً ثم يهم مسرعا بتنظيف العيادة بمواد مطهرة، ويضع كل شيء غير مرغوب بكيس أسود، ويأخذه فى يده، ويعود إلى الشقة حتى لا تقلق عليه أخته...
يجلس والد نهى فى غرفته، وينظر فى هاتفه، ويتصل...
-السلام عليكم يا عُمر
-وعليكم السلام ياعمي، أهلاً أهلاً كيف هي صحتك؟
-بخير يابني
-وأمى ونهى، هل هما بخير؟
-نعم يا بني.
-وأنت وسعاد بخير؟
-نعم ياعمي، إنها فى المطبخ تُعد لنا النسكافيه، تعلم أنها جعلت الخادمة تغادر بعد آذان المغرب
-حسناً استمع لي.
-تفضل يا عمي.
-تقدم لنهى عريس، هو جارٌ لنا.
-ألف ألف مبروك ياعمي، هذا خبرٌ جميل، سوف أخبر سعاد.
-انتظر يا عمر، قبل أن تخبر سعاد، أريد منك شيئاً
-تحت أمرك
-الأمر لله وحده يا بني.
-سوف أعطيك الاسم، هو سيأتى للزيارة غداً، وأنت اسأل عنه جيداً ،أنت تعلم أنني لا أخالط أحداً منذ فترة بعيدة.
يضحك عمر ضحكة حنونة قائلاً: بارك الله لنا فيك، اعطني الاسم بالكامل، وسوف أسأل عنه بنفسي، وقبل موعد الزيارة سوف تكون جميع بياناته مع حضرتك.
يضحك والد سعاد ويقول: أعلمُ يابني أنك لن تخذلني.

يعطيه الاسم بالكامل، يصمت عمر.. حتى شعر بصمته والد سعاد وسأله: ماذا ياعمر؟ هل تعرفه؟ يجيب مسرعاً بالنفي.
-حسناً يابني، في حفظ الله، سوف أتركك الآن، وأنتظر منك اتصالاً
-حسناً يا عمي
يضع عمر هاتفه من يده، تدخل عليه سعاد فى غرفة النوم وهي ممسكة بصينية، وعليها (مجان) نسكافيه وتنظر إليه...
-ماذا بك يا عمر؟ من كان المتصل؟ لماذا أنت متوتر هكذا؟
-ينظر لها... لا شيء يا حبيبتى، إنها مكالمة عمل، سوف أخرج الآن..
تنظر له نظرة دهشة.. الآن! لماذا؟
ينظر لها وكأنه يعاتبها..
-حبيبتي! أنتي تعلمين عملي جيداً، والآن يوجد قضيه ظهرت بها احداث، ويجب أن أذهب إلى المكتب.
تضحك لتخفف من توتر الموقف، وتقول له: حسناً ياحبيبي، احتسِ كوبك واذهب.
-حاضر يا حبيبتي سوف أفعل، جهزي لي بدلتي حتى أجرى مكالمة.
-حاضر ياعمر.
تذهب وهي راضية؛ فهي تعلم أنه يريد أن يتكلم فى شيء لا يجب أن تسمعه..
-أحمد! لماذا لا ترد على الهاتف سريعاً؟
-أعتذر يا أحمد، كنْتُ نائماً.
-حسناً اسمعني جيداً، ارتدِ ملابسك، يجب أن نذهب إلى المكتب حالاً.
ينظر أحمد فى ساعته وهو يقول: الآن نحن منتصف الليل.
-نعم الآن، هيا! لقد ظهرت أحداث جديدة فى القضية، يجب ان نتخذ خطوات.
-حسناً ياعمر، سوف أرتدي ملابسى وأسرع بالنزول..
يبدل عمر ملابسه، ويقبل سعاد على جبينها، وهو يقول: نامي جيداً لا تقلقي، سوف أكون بخير.
يذهب مسرعاً إلى مكتبه ليجد أحمد فى انتظاره.
يقول له: ما الجديد ياعمر؟
-يجب أن نستخرج إذناً لتفتيش عيادة الدكتور المشتبه بأنه يُخبىء ابن القتيل عنده حالاً لماذا؟
-هل يوجد شيء جديد؟
-نعم سوف أعلمك ولكن أولاً اتصل بالمخبر الموجود هناك، واعطه أمراً بعدم التحرك حالاً.
يتصل أحمد بالمخبر..
-أين أنت الآن يا مخبر علي؟
- جالس فى القهوة يا أحمد باشا.
-قهوة! أي قهوه هذه؟
-الموجودة في نهاية الشارع ياباشا.
يحدثه بصرامة..
-أتجلس على القهوة وتترك مراقبة المشتبه به؟

-الساعة أوشكت على الثالثه ياباشا والجميع نيام.
-لا تقاطعنى وأنا اتحدث، اذهبْ حالاً لمراقبة المنزل، وإياك وأن تغفل عيناك.
-تمام ياباشا.
يُغلق هاتفه، يحضر عمر وقد استخرج الإذن والقوة التي سوف ترافق الضابط المكلف وأسرعوا بركوب العربة، أعطى الضابط أمراً للسائقين بعدم تشغيل السرينة؛ حتى لا يشعر أحد بقدومهم، أوشكوا على دخول الشارع، يتصل الضابط بالمخبر..
-أين أنت؟
-أسفل المنزل ياباشا.
-هل توجد أية تحركات مشكوك بها؟
-لا يا فندم، لا أحد يخرج أو يدخل العمارة.
يصلون إلى عمارة المشتبه به، يعطي الضابط تعليماته لكل فرد فى القوة بمكانه، يقف بعض أفراد القوة على باب العمارة، وتتسلل البقية داخل العمارة، يقف بعض أفراد القوة على باب العيادة، ويطرقون الباب: لا أحد يجيب.
يذهب الضابط والبقية إلى شقة المشتبه به ليحضروه.
يطرقون الباب، إنه باب شقة عاصم..
تنظر الأم إلى الساعة، الفجر قد أوشك، تقفز الأم من نومها مرعوبة وهي تجيب من بالباب
يجيب الضابط: بوليس، افتحي الباب.
يخرج عاصم مسرعاً من غرفته على صوت أمه والباب ويسأل: من يا أمى؟
وتخرج أخته نور فى فزع وتبكي، لا ترد الأم وتبكي، فقط يدق عمر الباب، يفتح له عاصم وهو يرتدى بجامته ليجد الضابط أمامه..
يقول له: تفضل يا باشا، ما الأمر؟
-نعتذر عن الإزعاج، معنا إذن تفتيش لعيادتك.
ينظر له عاصم منزعجاً: لماذا؟ ماذا فعلت؟
ينظر له الضابط وهو يقول: هذا ماسوف نتأكد منه، تفضل معنا..
تنظر أمه وأخته إليه: إلى أين ستأخذونه؟
ينظر عاصم لها ويقول: لا تقلقي يا أمى، لا تقلقى يانور، لن أتأخر ..ويرد الضابط: سوف نأخذه لتفتيش العيادة، لا تقلقي، نأسف على هذا القلق مرة أخرى.
يُحضِر عاصم مفتاح العيادة ويذهب معهم، يفتح عيادته، ينتشر جميع الحرس بها ويفتشون كل ركنٍ بها حتى أسفل السرير الموجود بها، يذهبون إلى الضابط كلٌ بدوره: تمام يا فندم، لم نجد شيئاً.
في هذه الأثناء يراقب الضابط ملامح وجه عاصم، كما طلبا منه المحقق عمر وأحمد، ولكن لم تُظهر ملامح عاصم أي ارتباك أو قلق أو خوف، ويصيبهم الدهشة من ردة فعله وملامحه..
ينظر الضابط للمخبر الذي رافقهم وكأنه يسأل فى صمت "كيف هذا؟"
ثم يأمر القوة بالخروج من العيادة، ويقول لعاصم:عدْ إلى امك وأختك، ونحن نعتذر عن هذا، قد وصلتنا إشارة بأنك تُخفي هاني ابن رجل الأعمال القتيل لديك، ونعلم أنه صديقك..
ويستطرد كلامه قائلاً: سوف ننتظرك غداً فى المكتب لتجيب عن بعض الأسئلة.
ينظر له عاصم وهو يقول: تحت أمرك، ولكن أتمنى فى المرات القادمة أن تتحققوا من البلاغ

قبل ان تسببو بَلبَلة.
يقول الضابط فى غيظ: وهذا ما سوف يحدث، ونعتذر ثم يقول ولا تقلق؛ لم يرنا أحد، نحن نعمل كما الأشباح ...ويهم الجميع بالخروج، ويأخذ عاصم نفساً عميقاً وكأن شيئاً ثقيلاً قد وقع عن كاهله..
يطلع إلى شقته، تحتضنه أمه ونور وهما يبكيان، يجلس الجميع على الكنبة المفضلة لديهم وكأنها تحتضنهم، تنظر له أمه نظرة خوف، ونور نظرة حيرة، وعاصم يتحدث معهم ويحكي أن أحداً ما أبلغ أن هاني لديه..
تنظر نور وهي تقول: هذا فقط؟!
يبتسم بسمة حنون: نعم حبيبتي، هذا فقط.
تحتضنه وهي تردد.. الحمد لله.
أما أمه مازالت تنظر فى صمت..
يستقل الضابط وباقي القوة العربات، ويذهبون إلى القسم، يستأذن الضابط للدخول إلى مكتب المحقق عمر، يدخل ويقول: فتشْنا العيادة يا فندم، ولكن لم نجد أى أثر لابن القتيل المختفي، تتغير ملامح عمر ويقف وهو يقول: كيف هذا ؟ ويطلب حضور المخبر علي، ويستدعيه الضابط، يستأذن، ويدخل ثم يقف أمامهم ليطرح عليه عمر بعض الأسئلة في عصبية:
أخبرني ما الدليل الذي على أساسه جعلك تشك فى الدكتور عاصم؟
يجيبه فى ارتباك واضح:
لقد كنْتُ دقيقاً فى المراقبة يافندم، وأخبرت أحمد باشا كل يوم منذ أول يوم للمراقبة.
يقاطعه عمر بلهجة حادة..
-أنا أسألك، لا تجبْ عن سؤالي بسؤالٍ آخر، أعلم أنك كنْتَ على اتصالٍ بأحمد باشا، ولكن أريد أن أسمع منك وبالتفصيل..
-تمام يا فندم، كانت نقطة تمركزي هي مراقبة دكتور عاصم عن قرب بدون أن يشعر، على أساس أنه أحد أصدقاء ابن القتيل..
الدكتور عاصم يسكن مع أمه وأخته، أي أنهم ثلاثة أفراد.
يرد عاصم فى انتباه..
-تمام، أكمل.
ولكن رغم هذا، كان يُحضِر إفطاراً لفردين فقط.
يقاطعه عمر... وكيف عرفْتَ أنه يُحضِر إفطاراً لفردين فقط؟
كنت أعلم موعد نزوله فى الصباح، وأذهب إلى مطعم صغير في أول الشارع لأسمع ماذا يقول لصاحب المطعم، فسمعته يطلب إفطاراً لفردين..
يقاطعه عمر... نقطة مهمة تستدعي الشك، ولكن لعل فى هذا اليوم أخته أو أمه لم يتناولوا الفطور من المطعم، أكمل، ماذا أيضاً؟
-كان لديه ممرض يعمل معه في عيادته، أعطاه إجازة مفتوحة، وأيضاً أعطاه بعض الأموال.
يقاطعه عمر..
-وكيف عرفت؟
-قال لى الممرض يافندم؛ فلقد كونت معه صداقة، وقبل أن يغادر قال أن الدكتور أعطاه إجازة لأن والدته مريضة، ولن يفتح العيادة أثناء مرضها، فسألْتُه وكيف سوف تتعايش وأسرتك ؟

فضحك وقال الدكتور عاصم أعطاني مبلغاً أعيلهم به..
يزداد انتباه عمر للمخبر، ولفطنته، وللنقاط المهمة التي تستدعى للشك فعلاً، وقال له...هل هذا كل شيء لفت نظرك؟
-لا يافندم، هناك شيء آخر.
-ماهو؟
-لقد ذهبْتُ إلى العياده لأتأكد من انه لا يوجد بها أحد فعلاً، وعندما قمْتُ بطرق بابها، سمعْتُ حركة غريبة بالداخل، ورغم هذا لم يفتح أحد!
وعندما كنت أهم بالنزول، وجدْتُ والدة الدكتور عاصم كانت تخرج من شقة جارتهم وبصحة جيدة.
يضع عمر يده خلف ظهره، ويدور حول المخبر علي ويسأله..
-إذاً هل تحركت من أمام عمارة الدكتور عاصم اليوم؟
يجيب المخبر..
نعم يافندم، بعد أن تأكدت من أن الدكتور عاصم لن ينزل من شقته لأن الوقت قد تأخر، ذهبْتُ إلى القهوة فى نهاية الشارع لأحتسي كوباً من الشاي.
وقف عمر مكانه وكأنه وجد ضالته، وقال للمخبر: حسناً، اذهب أنت الآن..
جلس على مكتبه وتوجه بالحديث لأحمد والضابط قائلاً لهما..
-إذاً لو كان فعلاً هاني متواجداً لدى الدكتور عاصم، فمن المؤكد أنه وقت ذهاب المخبر إلى القهوة، وأن عاصم قد أخرج هاني دون أن يراه المخبر..
يرد احمد.. فعلاً ياعمر، وهذا ما أقلقنى قبل ذهاب القوة للتفتيش، حينما أعلمني المخبر بأنه قد غادر مكان تمركزه..
وقف عمر وهو غاضب ثم قال له..
كنْتَ تعلم بأنه غفل عن المراقبة ولم تخبرني، لماذا تغافلك هذا يا أحمد؟ لقد أفسدت كل شيء.
يكتفي أحمد بصمته، يقاطعهم رنين الهاتف من رؤسائهم يطلبون منهم تقريراً عن المهمة...
ينظر عمر فى ساعته، الوقت يمر والساعة قاربت على الواحدة ظهراً، ووالد سعاد ينتظر منه رداً وهو فى حيرة من أمره، ماذا يفعل؟!
يخرج أحمد والضابط من المكتب، يتصل عمر بوالد سعاد، ويخبره بأن العريس القادم لنهى صاحب سمعة طيبة، ويخبره بأنه كان يوجد بعض الشكوك حوله فى أنه يُخفي لديه صديقه هاني ابن القتيل، ولكنهم بعد التفتيش وجدوا أن البلاغ كاذب..
يصمت والد سعاد ثم يقول... لن أعاتبك على عدم إخبارى يا عمر، أعلم أن هذا عملك، ولكن هل هناك أي شيء آخر تُخفيه عني؟
-لا ياعمي، هذا كل شيء، وقد استدعيْناه للحضور الآن لنستجوبه كباقي أصدقاء ابن القتيل، استجوابٌ روتيني لابد منه..
-حسناً ياعمر، وليفعل الله مايشاء.
-سأنتظركما الليلة أنت وسعاد لحضور المقابلة.
-بعد إذن حضرتك ياعمي، دع الليلة لكما ولنهى ليتم التعارف، وإن شاء الله نتواجد فى الزيارة الثانية..
-حسناً ياعمر كما تحب، فى حفظ الله..

الساعة الثانيه ظهراً، يتوجه عاصم إلى قسم الشرطة، يمثُل أمام عمر بصفته المحقق المختص بالقضية ليأخذ أقواله كما جميع أصدقاء ابن القتيل، ينتهي الاستجواب ويتوجه مرة ثانية لمنزله لتجهيز نفسه لمقابلة والد نهى المنتظرة.
نهى لم تذهب إلى الجامعة؛ فهي تجهز وهي فى قمة السعادة مع والدتها بعض الترتيبات لضيافة عاصم وأسرته قبل موعد قدومهم ثم تنظر إلى ساعة الحائط لتجدها قد قاربت على السادسه مساءً
تنظر لوالدتها وتقول..
-أمي! سوف أذهب الآن لأهيأ نفسي قبل قدوم عاصم.
تبتسم الأم... حسناً يانهى، وأنا سوف أتأكد من كل شيء.
تضحك نهى فى خجل وتذهب إلى حجرتها، تلتقط هاتفها وتنظر إلى رقم عاصم وتتمتم.. هل أطلبه الآن أم أنتظر قدومه؟ ثم تضع الهاتف من يدها على سريرها، وتنظر من شرفتها؛ لعلها تجد النافذه مفتوحة، ولكن للأسف وجدتها مغلقة وغرفته مظلمة، تضع يدها على شفتيها وهي فى حيرة متسائلة.. تُرى أين يكون؟
عاصم يجلس مع والدته فى غرفتها على سريرها، في حين ترتدي نور ملابسها لتذهب معهما ويقول لأمه فى صوت خافت
-لا تقلقى يا أمي، كل شيء سوف يكون بخير.
تحتضنه وتبكي...
-أتمنى هذا يابني.
تقاطعهم نور بضحكتها المشاكسة..
-ما كل هذا الحنان؟ أين أنا منه؟
وتتوسطهما كالطفلة، يحتضناها ويقاطعهم آذان العشاء، يستأذن عاصم للذهاب إلى المسجد ويطلب منهما أن يسرعا بعد الصلاة ليذهبوا لمنزل نهى، كما العادة ينهى والد نهى مع أسرته صلاة العشاء ويتهيأ لقدوم عاصم، تسمع نهى صوت جرس الباب، تتسارع دقات قلبها من السعادة، وتظهر ملامح السعادة على وجهها، ولا تعرف كيف تُخفيها خجلاً من والدها، تتوجه إلى الباب ولكن يطلب منها والدها أن تدخل حجرتها، تنظر لأمها التي تبادلها النظرة كما الشفرات لتطيع والدها.
يفتح هو الباب ليطل عاصم عليه بوجهه الرقيق وبدلته السوداء الأنيقه كما لو كان فى يوم زفافه وبجواره أمه وخلفه أخته نور، ويلقي السلام..
-السلام عليكم ياعمي.
ينظر له والد نهى نظرة سرور ويبادله التحية... وعليكم السلام يابني، أهلاً بكم، تفضلوا بالدخول
تستقبل والدته وأخته والدة نهى في سعادة وبشاشة جعلتهم يشعرون بأنهم فى بيتهم وليسو غرباء عنه، يجلسون جميعاً فى غرفة الاستقبال، يتبادلون بعض الأحاديث عن مجال عمل عاصم وعن أهل والدته ووالده، تعارف متبادل بين عاصم والوالد وباقى أفراد الأسرتين
يخبر عاصم والد نهى بأن الضابط عمر زوج ابنته طرق بابهم ومعه إذن بالتفتيش لأنه صديق ابن رجل الأعمال الذي وُجِدَ قتيلا فى فيلته بالزمالك، فسأله أبو نهى..
-وهل هناك مايقلق لتخبرني به؟

-لا ياعمي، أحببْتُ أن أكون صادقاً معكم من البداية فقط.
أخذ والد نهى نفساً عميقاً، وكأنه تنفس الصعداء وشعر بالارتياح ثم قال..
-وأنا سعيدٌ بصراحتك هذه يا بني.
تستأذن أم نهى، وتدخل إلى نهى تجدها منتظرة بلهفه فى غرفتها..
دون أن تسألها عن أي شيء، تحكي لها أمها بالتفصيل وهي سعيدة ونهى مبتسمه ومنتبهه تحتضنها أمها وهي تقول لها... سوف أقدم لهم واجب الضيافة ولا تأتِ حتى يأذن لكِ والدك تقدم الأم واجب الضيافه وترحب بهم مرة ثانية..
وواضح على ملامح عاصم علامات القلق مع السعادة فى آنٍ واحد، وكأنه يمر باختبار عصيب توجه أم عاصم الحديث لوالد نهى وهي تقول..
منذ أن انتقلنا للسكن هنا ونحن نسمع عنكم كل الخير، وقد عرفْتم من عاصم جميع تفاصيل حياته، فهل تقبلون به زوجاً لنهى؟ وتأكدوا أنها لن تكون زوجة لابني بل ابنة ثانية لي
ينظر أبو سعاد لأمها ولملامح وجهها التي تكشفها من السعادة..
ويقول..
ونحن قبل أن تأتونا، سمعْنا عنكم ما سرنا وطمئننا، وإن شاء الله الرأي الأول والأخير للعروسين ثم يضحك الوالد كما لو كان قد غفل أن نهى لم يأذن لها حتى الآن ويقول نادي نهى يا أم سعاد..
نهى في غرفتها والقلق قد سيطر عليها، عاصم بضيافتهم مما يزيد عن نصف ساعة، ووالدها لم يأذن لها بالدخول، تتمتم...تُرى هل والدي لم يقبل به؟ تُرى ماذا يجري؟
تنقذها أمها من هواجس التفكير وتحضنها فى سعادة وهي تقول: والدك قد وافق.
تبكي نهى؛ فهي تكاد لا تصدق أنها أخير ستتشابك يدها ويد عاصم أمام الجميع
تمسح لها أمها دموعها وهي تقول.. ليس هذا يوم الدموع، هيا! عاصم ينتظرك
تتقدمها الأم وتدخل الغرفة، وتقدم نهى لوالدة عاصم...
تدخل نهى، وجهها يتوهج من الخجل، تنظر من أسفل أولاً على فتى النافذة الذي ارهق قلبها كثيراً، وهو بدوره عيونه رغم خجلة من والدها، لم يستطعْ التحكم بهما وسلطهما عليها فى سعاده وهو يقف لاستقبالها، ترحب نهى بوالدته ونور أولاً ثم تلقي عليه التحيه دون أن تسلم عليه، تجلس بجوار أمها كما لو كانت خجلة، يبتسم عاصم وهو فى قمة سعادته من حسن أخلاق من سوف تكون يوماً زوجة له، يتبادل الجميع الحوار والمشاكسة، نور تصنع جواً مرحاً بين الجميع، وتجعل الخجل من العروسين يختفي، ويتكون جوٌ أسريٌ بين الأسرتين، يستأذن عاصم بالانصراف، ويشكرهم ووالدته على حسن الضيافه والاستقبال، ينظر لنهى كما لو كان يقول لها كم أحبك دون أن يسلم عليها؛ فقد علم أنها لن تمد يدها للسلام وسلم على والدها وأعطاه رقم هاتفه ليخبره بردهم وتحديد موعد للاتفاقات إن نال طلبه القبول، غادر الجميع ونظر الوالد لنهى قائلاً لها..
-إنه شابٌ خلوق ومتزن، ولكن فكري جيداً قبل أن تعطيني رداً نهائياً.
تبسمت لها الأم، وحضنتها ثم ذهبا إلى غرفهم كلٌ بأحلامه..
تغلق نهى عليها غرفتها وتفرد ذراعيها، تتراقص كما الفراشة فى سعادة وتقول بصوت هامس وأخيراً ياعاصم سوف يجمعنا الله معاً.
وتنظر فى المرآة، تتلمس وجهها وهي تقول... هل هذا واقع؟ أخشى أن أكون فى حلم!

تسمع رنين هاتفها، تلتقطه مسرعة، إنها سعاد، لم تعطها فرصة للكلام..
-احكِ لي كل شيء منذ أن دخل عاصم شقتنا وحتى الآن.
تضحك نهى وتقول.. كم أنا سعيدة! ليتكِ كنتِ معي الليلة.
يتغير صوت سعاد إلى شجن وتقول... كنت أتمنى هذا حبيبتي، ولكنكم تعلمون أن عمل عمر لن يسمح لى بحضور جميع المناسبات.
وتستطرد قائلة... دعكِ من كل هذا الآن، احكِ لي أيتها العروسة المستقبلية.
تتبادلان الضحكات، وتحكي لها نهى كل شيء بالتفصيل..
تسمع صوت رنين فى الهاتف، تنظر وتسرع لسعاد وهي تقول..إنه عاصم ياسعاد يتصل،
تضحك سعاد وتقول لها... حسناً يا حبيبتي، سوف أتركك الآن وبلغيه سلامي حتى نلتقي في الزيارة القادمة.
-إن شاء الله حبيبتي.
تفتح المكالمة على عاصم ليفاجئها صوتُه وهو يقول..
-مبروك حبيبتي، اليوم فقط تحققت أثمن أمنياتي.
هكذا سمعت عاصم يقولها..
تضحك بخجل ضحكة هو يعشقها لما بها من خجل..
وتقول له: نعم اليوم تحققت الأماني، كنت قلقة من هذه المقابلة.
لماذا كنتِ قلقة؟ ألا تثقين بي؟
-لا لا، بل لا أثق بأن الأماني تتحقق.
يضحك وهو ممسك بهاتفه، يسير فى غرفته الصغيرة وكأنه لا يشعر بشيء سوى سماع صوت حبيبته ثم يقول لها..
-نهى!
-نعم ياعاصم!
لقد أخبرْتُ عمي بأن عمر زوج أختك كان لدينا أمس ومعه إذن تفتيش.
تقاطعه وهي في قلق شديد..
لمَ ياعاصم؟ أخبرني ماذا يجري؟
-لا تقلقي يا حبيبتي، إنه فقط روتين، ليس معى فقط، بل حدث مع باقي أصدقائي أنا وهاني، أنتِ تعلمين أنه مختفٍ، ويبحثون عنه لدى جميع أصدقائه
تتنهد وتقول... الحمد لله، قلقتني كثيراً.
-لا تقلقي حبيبتي، كل شيء بخير، لا تقلقي.
يكملون مكالمتهم كما العادة حتى يقاطعهم آذان الفجر..
-أمي! هل رأيتِ كيف كان عاصم سعيداً؟ وكيف كانت نهى سعيدة؟
-نعم يانور، أتمنى أن يتم الله عليهم هذه السعادة يا ابنتي.
-هل سوف تظل مرتدية هذا الثوب؟
-اذهبي يا حبيبتي، وبدلي ملابسك، ونالي قسطاً من النوم؛ فغداً لديكِ جامعة
ولكن أولاً، اذهبي إلى عاصم؛ فأنا تعبة بعض الشيء، إن كان يحتاج شيئاً، فاحضريه له قبل أن تنامي
تضحك وتقول...

-لا تقلقي على عاصم يا أمى؛ فهو لا يحتاج شيئاً مني الآن، إنه يكلم نهى منذ أن عدنا من منزلهم.
تضحك الأم قائلة..حسناً، سأنال قسطاً من النوم أنا أيضاً، تُصبحين على خير.
تخرج نور من الغرفة، تجلس الأم على سريرها على نورٍ خافت بجوار السرير، تضع يدها على رأسها، وكان رأسها به الكثير من الأفكار مما لا يجعلها لا تقوى على النوم.....
تشرق شمس يومٍ جديدٍ تحمل الكثير من الأحلام لنهى وعاصم، تصحو نهى على صوت رنين المنبه بجوارها، تقفز من سريرها، تنظر من شرفتها لتجد عاصم يقف فى نافذته، يبتسم لها ويشير إلى ساعته، كما لو كان يقول لها أنتظرك منذ وقت، يُخرج هاتفه من جيب بنطاله تكاد السعادة تتراقص على ملامح وجه نهى، تلتقط هاتفها هي الأخرى ليكون صوته أول شيء تبدأ به يومها، والدتها فى المطبخ تعد الإفطار، والدها فى غرفته كما العادة يقرأ جريدته وينتظر القهوة والإفطار، على الجانب الآخر نور ترتدي ملابسها؛ فقد تاخرت على الجامعة ووالدتها تعطيها كوباً من الحليب حتى لا تخرج بدون إفطار...
أما عمر فهو ذاهب إلى مكتبه ورأسه بها الكثير والكثير من الأفكار والغموض حول القضية الممسك بها، سعاد تستعد للنزول معه حتى يقلها لمكتب والده؛ فلديهما بعض القضايا المتراكمة التي يجب دراستها قبل قبولها، كل شخص لديه أفكاره وآماله وطموحاته، فهل ستشرق كما شمس هذا اليوم؟
-عاصم!
-نعم يانور! لحظة واحدة.
-أتركك الآن ياحبيبتي؛ فنور تنتظرني، سوف أشتاق لكِ.
-فى خجل.. وأنا أيضاً وتصمت.
-وأنتِ أيضاً ماذا؟ لن أغلق الهاتف إلا إن سمعْتُها.
-بضحكة خجلة... سوف أشتاق لك.
صمت بين الاثنين؛ فلا شيء يُقال بعد هذا.
يستدير ليفتح لأخته...
-صباح الخير يا عاصم
-صباح النور يانور، ماذا بكِ؟
-هل أنت خارج الآن ؟
-لمَ؟
-لا لشيء، ولكن إن كنت خارجاً، فلنخرج معاً.
وتضحك بصوت عالٍ... لا تقلقْ مني، إن أحببْت أن تُكمل حديثك مع نهى لا أسمع، لا أرى، لا أتكلم.
يضحك ويقول لها.. لا، لن أتكلم الآن، لدي مشوار.
-هل تريدين شيئاً يا أمي؟
-هل أنت أيضاً خارج ياعاصم؟
-نعم يا أمي، سوف أخرج مع نور.
-لدى مشوار
-فى حفظ الله يا أولادي.

-هيا يا نهى، والدك لا يستطيع أن يتحمل تأخر الإفطار، يجب أن يأخذ دواءه
-حاضر يا أمي.
يجلسون جميعاً على الطاولة...
-نهى!
-نعم يا أبي!
-هل فكرتِ جيداً بالأمس؟
-نعم يا أبي
-إذاً ما هو ردك يا ابنتي؟
تبتسم بسمة خجلة ولا تقوى على النظر لوالدها..
تنظر الأم بحنان لها ثم تقول:
السكوت علامة الرضا يا أبو سعاد.
يبتسم الأب قائلاً..
-حسناً سوف أرد عليه اليوم، ولنحدد معه يوم يكون معنا به أختك وزوجها، لنحدد موعد الشبكة ونتفق على بعض الأشياء.
تنهض نهى عن كرسيها، تتوجه لوالدها، تحتضنه وتقول له...
شكراً لك يا أبي، سوف أذهب الآن لأرتدي ملابسي؛ لدي محاضرة الساعة العاشرة
-حسناً يا ابنتي فى حفظ الله.
يمر اليوم كلٌ فى دائرة حياته الخاصة، لا شيء يتوقف.
وتتم خطوبة الحبيبين بعد الاتفاق على إقامتهما فى شقة صغيرة مستقلة فى نفس الحي الذي يقطنون به ويحدد موعد الزفاف فى نهاية العام الدراسى لنهى، تمر الأيام كما عقارب الساعة لا تتوقف ولا تعود إلى الخلف، الحبيبان تشملهما السعادة، وكأن هذا العالم قد خلقه الله من أجلهم، لا يريان أحداً سواهما، ولا تقع عيون أحدهما الآخر إلا على بعضهما البعض
ها هما أمام معرض للموبيليا ليريا ما يناسبهما من مفروشات وأسعار ممسكاً بيدها الرقيقة
-تعالي حبيبتي، هل ترين هذه الغرفة؟ تضع يدها على فمها وهي مندهشة، يالروعتها! ولكن ألن يكون ثمنها مرتفعاً؟
يضحك ضحكة حنونة..
لا تقلقي حبيبتي، إن كانت تروقك، ستحظين بها إن شاء الله، تمسك بكلتا يديها كما الطفلة بيده، تميل برأسها على كتفه فى خجل وسعادة، يقول لها وهذا يكفيني لأحضر لكِ نجمة من السماء
يقبل عليهم مدير المعرض، يبتسم لهما؛ فعيونهما تنطق بالحب..
تحت أمركم يافندم، واضح إن الغرفه نالت إعجابكم..
يبتسم عاصم..
تفضل معي، وإن شاء الله السعر سوف يروقكما أيضاً، فاليوم هو يوم حظكما
تبتسم نهى، فيقول عاصم ...ولم اليوم بالذات؟
يجيبه مدير المعرض..
-لأن اليوم لدينا خصومات تصل إلى ٥٠% بمناسبة الاحتفال بمرور عشرة أعوام بنجاح على معرضنا.
يزداد وجه الحبيبين إشراقاً من السعادة، ويقول لها عاصم..

-ألم أقلْ لكِ حبيبتي؟ إن الأماني تتحقق معكِ.
يتبادلان نظرات الحب التي تقول مالا تقوى على ترجمته الحروف، ويذهبان للتوقيع على فاتورة الغرفة..
تمر الأيام والحبيبان تغمرهما السعادة، وكأن العالم بأسره لا يوجد به غيرهما.
ينتهيان من تجهيز شقتهما الصغيرة، ويحين موعد الزفاف المنشود من القلبين.
حفلة بسيطة تتوسط الشارع بين سكن عاصم ونهى، ليست كما حفلة عمر وسعاد، ولكن يتجمع بها جميع الأهل والأصدقاء من الطرفين، ها هما العروسان، نهى فى ثوب زفافها الأبيض وحجابها الأنيق تكاد تكون كما الملائكة ببساطتها، وعاصم ببذلته الأنيقة السوداء وطلته الجميلة كما الأمير يمسك بيد أميرته..
الموسيقى تُعزَف والجميع يقف ليحيي العروسان بالتصفيق والزغاريط، وهما بدورهما يلوحان فى سعادة لجميع المعازيم حتى يصلوا إلى المسرح المُزين بالورود والستائر البيضاء الستان من أجلهما، يتوسطان المسرح ويلف عاصم يديه حول خصر نهى ويبدآن أول رقصه لهما ينظران لبعضهما البعض في سعادة، وعلى صوت الموسيقى يتهامسان، يقول لها..
حبيبتي! اليوم فقط لا اخشى الموت، فها أنتِ الآن بين يدي أمام الجميع، كم أحبك! فقد أصبحتِ زوجتي وكل أملي في الحياة، تنظر إليه في خجل وتقول..
حبيبي! لماذا تذكر الموت الآن؟
يقاطعها، ويلف ذراعه جيداً حول خصرها، يدور بها وهي متعلقة كما الطفلة في عنقه، تكاد تموت من الخجل، الجميع يقف ويصفق لهما فى سعادة من أجلهما، يعتلى المسرح أخته، وسعاد، وعمر، وبعض من أصدقاء العروسين ليشاركوهم الرقص، وتعتلي أم عاصم ووالدة نهى ووالدها المسرح، يقدمون التهنئة للعروسين، تقبله والدته وهي تبكي وتقول له.. اليوم تعود السعادة لنا يا بني، وتحيط نهى بذراعها وتقول.. أنتِ سبب إدخال السعادة لبيتنا يا ابنتي.
تنهي أخته نور الموقف المؤثر وهي تقول... لا دموع اليوم، هيا نرقص جميعاً.
الجميع يضحك والسعادة والموسيقى تعم المكان، فجأة يظهر هاني ويحتضن عاصم ويختفى كما لو كان شبح بين الحضور
تنظر نهى لعاصم وهي تقول
عاصم حبيبي! ما هذا؟ هل هذا وعدك لي بأنك لن تتخلى عني أبداً؟ تحتضنه والدماء تنزف من صدره لتغرق فستان زفافها وتصرخ صرخة ألم تصيب الجميع بالذهول، يعم الصمت المكان إلا من صوت بكائها الذي جعل الجميع يبكي ويتسارع لرؤية ماذا يحدث، ينظر لها عاصم وهو مستلقٍ فى دمائه على الأرض ويقول لها..
لا تحزنى حبيبتي، كنْتُ أتمنى ألا أكون سبباً فى دموعك يوماً ما، ويغمض عينه، تحتضنه أمه وتصرخ... وحيدي، لا تتركنا الآن.
ترتمي عليه نور وهي تقول... لا يا أخي، لا ترحل.
عمر ينظر هنا وهناك، لا يرى أثراً لهاني سوى رصاصة مستقرة فى صدر عاصم، يُسرع بطلب النجدة والإسعاف ليُقلو عاصم إلى المشفى، تنطفىء الأنوار كما انطفأ نور عاصم هذا المساء، يذهب أهل المنطقة والأصدقاء والأهل جميعاً خلف العروسين فى حزن يفتك بقلوبهم، يُسرعون بإدخال عاصم غرفة العمليات والانتظار يفتك بهم جميعا وهم ينتظرون.
ثلاث ساعات تمر، البعض ساجدٌ لربه والآخر يقرأ القرآن، والدعاء يشمل الجميع لعاصم

بالخروج سالماً من العمليات، أخيراً تخرج الطبيبة، تمسك بها نهى بقوة وتقول لها..
أخبريني أن عاصم بخير رجاءً.
تنظر لها بعطف وتقول... الحمد لله لا تقلقي، إنه فعلاً بخير، الرصاصة استقرت بجوار قلبه لكن لم تلمسه.
يتهلل وجهها كما أمه، وأختها، ووالديها، والجميع، ترتمي في حضنها بعفوية، تدمع عين الطبيبة من أجلها، تتركها وتطلب من والدها الحديث معها في مكتبها لتخبره بتفاصيل حالة عاصم.
تنظر نهى لأمها وتبكى بكاءً جعل القلوب تتألم من أجلها، تقترب منها سعاد وتحتضنها وهي تبكى وتقول...الحمد لله حبيبتي، عاصم بخير لا تقلقى.
والدته وأخته متشبثون خلف زجاج غرفة العناية التي نُقل إليها، يراقبونه بقلوبهم التي تدعو له بأن ينجو، التوتر والقلق قد زال عن أهل الحي والأصدقاء، بعد أن سمعوا الطبيبة، وحراسة مشددة وقفت على باب العناية خوفاً من عودة القاتل، تذهب نهى بجوار والدة عاصم وترتمي فى حضنها وهي تقول..
-لقد وعدني ألا يتركني أبداً.
تبكي الأم وتقول... لن يتركنا جميعاً يا ابنتي فليس لنا غيره بعد الله، ومن أراد أن يحرمنا منه لن يفلت من العقاب..
تمر الدقائق ببطء فى رواق المستشفى وخلف زجاج غرفة العناية الجميع ينتظر بزوغ نور الفجر، فعنده فقط يكون قد زال الخطر عن عاصم، عمر يتصل بالمحقق أحمد ويسأله إن كانوا قد أمسكوا بهاني.
ولكن أحمد يرد عليه... مازال البحث جارياً، كيف هو حال الدكتور عاصم الآن؟
الحالة ليست مستقرة يا أحمد، الطبيبة المختصة تقول أن حالته حرجة، ولكن قد أخفيْنا على عروسه ووالدته.
يقول له أحمد إن شاء الله سوف يكون بخير ولكن في هذه الأثناء..
لا تجعل عينيك تبتعد عن غرفته، من الممكن إن علم هاني بأن دكتور عاصم مازال على قيد الحياة يعود مرة ثانية لينهي ما بدأه؛ فنحن لا نعلم حتى الآن لماذا حاول قتله! !
حسناً يا أحمد، لا تقلقْ ولكن اعلمني بكل جديد.
يغلق هاتفه...
وتسأله سعاد... هل وجدو القاتل يا عمر؟
-لا ياسعاد، حتى الآن لم يعثرو عليه..
تسأله.. تُرى لماذا أراد قتل عاصم ؟
-لا أعلم يا سعاد، هذا الأمر يكاد يفتك برأسي من التفكير به، ولا أعلم هل سوف ينجو عاصم من هذا أم لا؛ فقد أخبرتنا الطبيبة أن حالته خطرةٌ جداً وأنه يصارع الموت ...تضع نهى يدها على فمها من الخوف والقلق وهي تقول.... إن حدث له شيء، فستموت نهى.
يقاطعهم صوت رنين هاتف عمر، يتلقى المكالمة، تظهر على وجهه ملامح البهجة، وهو يقول.. حسناً يا أحمد سوف آتي حالاً...تسأله سعاد..
-ما الأمر الذي أسعدك ونحن في هذا الموقف العصيب يا عاصم ؟ يقول لها
لقد أمسكوا بهاني، لا تخبري أحداً وأنا سوف أذهب الآن...

استجواب المتهم
بسرعة يصل عمر إلى قسم الشرطة ويبدأ استجواب هاني، يسأله عمر..
-هل لديك محامي أو نحضر لك أحداً؟
يضحك هاني باستهزاء ويقول...
لن أحتاج لمحامٍ؛ فأنا لسْتُ مجرماً، وعلى كلٍ، فالمحامي الخاص بوالدي مسافر في رحلة علاج..
فيقول له عمر، إذاً لماذا أطلقْتَ الرصاص على صديقك الدكتور عاصم إن لم تكن مجرماً؟
هاني .. لأنه هو من قتل والدي؟
عمر في دهشة.. من واقع إجابة هاني..
إن كان الدكتور عاصم هو من قتل والدك، فلماذا لم تقم بالإبلاغ عنه؟ ولماذا هربت؟
هاني.. لم أبلغ عنه؛ لأنه قد سرق جميع الأوراق التي تثبت ملكيتي لأملاك والدي.. وقد هربْتُ حتى أستطيع استردادها منه.
-عمر: وكيف قتل الدكتور عاصم والدك؟ احكِ لنا تفصيلاً.
-هاني: كنْتُ في غرفتي في الدور العلوي، وسمعْتُ صوتاً غريباً في الفيلا بالأسفل ..أسرعْتُ بالنزول حتى أرى ماذا يحدث..
-يقاطعه عمر: ألم يكن هناك أحد من الخدم ؟
-هاني:لا؛ فقد أخذَتْ الخادمة إذناً بالذهاب إلى ابنتها لأنها مريضة، ولم يكن هناك أحد إلا أنا ووالدي، كان في مكتبه بالأسفل.
-عمر: حسناً أكملْ، ماذا وجدْتَ عندما أسرعت بالنزول؟
-عاصم: وجدْتُ والدي ملقى على الأرض، والدماء تسيل منه، حاولت إنقاذه ولكنه كان قد فارق الحياة ..
يسرع عمر ويقول: إذاً لم ترَ دكتور عاصم وهو يطلق عليه النار؟
-هاني:عاصم كان يقف أمام الخزانة، وكان يحمل المسدس، وعندما رآني حاول إطلاق النار عليَّ ولكنني أسرعت بالهروب.
-عمر: إذاً كيف رأيْتَ أن عاصم قد أخذ جميع الأوراق التي كانت في الخزنة؟ وهل والدك كان يضع أموالاً بها؟
-هاني وهو متردد: والدي دائماً ما يضع إيراد الفندق في الخزنة، أما باقي الأموال فهي في البنوك.
عمر! لم تجبْ عن باقى السؤال، كيف علمْتَ أن الأوراق والأموال قد سرقها عاصم، مع أنه قد هددك وهربت!
صمت هاني ولم يرد على السؤال..
عمر محاولاً الإيقاع به: إن كان عاصم قد قتل والدك، فلماذا قد اخفاك في عيادته؟ لقد أثبتت التحريات أنه أخفاك لديه.
أنكر هاني أختبائه لدى عاصم..
أمر عمر بحجز هاني أربعة أيام على ذمة التحقيق، وأمر بسرعة استجواب عاصم إن كانت حالته تسمح، ووضعه تحت الحراسة بصفته متهما بقتل رجل الأعمال وإحضار الخادمة للشهادة...

استجابة للدعاء
على الجانب الآخر في المستشفى بعد مرور أسبوع..
يفترش والد نهى مصلية فى غرفه مجاورة، ويقيم بعض الصلوات لربه، ودعواتٍ من القلب؛ لعل الله يستجيب له وينجي عاصم مما ألم به، أما والدة نهى فقد أنهكها كل هذا؛ فهي حائرة بين مواساة الجميع ابنتها ووالدة عاصم وأخته، وبين زوجها الذي كاد القلق يفتك به، وتخاف عليه من ارتفاع السكر، دعواتٌ من الجميع حتى ارتفع صوت المؤذن لصلاة الفجر، هنا تنبهت نهى ونظرة من خلف الزجاج على عاصم المستلقي بلا حراك على سرير الإنعاش، عيونها تدمع، تقول بصوت متحسر سمعه الجميع..
-في نفس ذلك الوقت يا عاصم كنا نصلى الفجر معاً! في وقت كهذا يا عاصم كنت تتركني فقط لنكون معاً فى رحاب الله، في وقت كهذا، كنا معاً بقلوبٍ خاشعة وأجسادٍ متفرقة، أين أنت يا حبيبى الآن؟
يبكى الجميع من هذه الكلمات، يسمعها والدها فيقول لها..
والآن يا ابنتي توضأي وتعالي إلى جواري لنطلب الرجاء من الله؛ فإنه وحده يجيب دعاء الراجين.
تنظر لهما الطبيبة مارية التي تتابع حالة عاصم وهو في حالة من التعجب على كل هذا القدر من الإيمان والدعوات والثقة في الله بأنه سيستمع لهم، ويُعيد لهم هذا المريض الذي يسارع ليعيش....
ينظر إليهم الجميع، الدموع تتساقط من أعينهم وهم يفرشون الأرض بسجاد الصلاة ويؤمهم والد نهى بعد أن يقيم الصلاة..
الله أكبر..
وهنا تتركهم الطبيبة مارية بنظراتها التي كانت تترقبهم، تدخل غرفة عاصم لتطمأن عليه، تقترب منه لتتحسس نبضه، تنظر له وتقول... كل هذا الحب في انتظارك بالخارج، تُرى من أنت وما قصتك؟ ولماذا الجميع يكن لك كل هذه العواطف؟ ثم تتمتم بصوت خافت.. ولكنك فعلاً تستحق الحب.ثم ترتعش يداها كما لو كأنت قد مسها جن، وتشعر بيد عاصم تمسك بيدها ويقول نهى!
يصيبها الذهول، كيف حدث هذا؟ لقد فاق بعد أن اوشك على الموت، تصمت لحظة وتحدثها هواجسها.. تُرى هل سمعنى؟
ثم تعود لمهنتها وتربت على يديه، وتطلب بسرعة فريق التمريض والأطباء المختصين لعمل بعض الفحوصات عليه واستعادته.
في الرواق...
يفرغون من صلاتهم، يلاحظون حركة غريبة، القلق يوشك أن يشل حركتهم خوفاً من أن يكونوا قد فقدوه، تُسرع نهى إلى الغرفة، الطبيبة تبتسم لها وتقول أنتِ نهى! لا تقلقي، إنه بخير وذكر اسمك من لحظة، ابقِ بجواره، ولكن لا تحدثيه حتى نكمل الفحوصات، سوف تبقين معنا لحين إفاقته، تنهمر دموعها، تمسك بيدها وتقبلها وتحتضنها، تمسك بيد حبيبها بقوة وتقول له إياك وأن ترحل..
أما الجميع بالخارج، رغم البكاء فإنهم قد اطمأنوا بأن الله أعاده لهم...
ينتقل إلى غرفة أخرى، الجميع بجواره حتى أفاق، نظر إليهم وهو ممسك بيد حبيبته ووالدته،

طلبت منهم الطبيبة المغادرة ليستريحوا بعد أن اطمأنوا على مريضهم، غادر الجميع إلا نهى ووالدته، ظلتا بجواره، تترقبانه خوفاً عليه..
يمر يومان ببطء حتى تحسنت حالته بعض الشيء، تظل والدته وحبيبته بجواره حتى بزغ نور الفجر.
يفوق من غفوته ليجد نهى وأمه ساجدتيْن، ولا يسمع سوى صوت بكائهم ودعواتهم، ينادى بصوت ضعيف واهن.. نهى!
تسرع إليه.. نعم يا حبيبي!
يمسك يدها ويقول: لا تقلقي حبيبتي، أنا بخير فلتنالي أنتِ وأمي قسطاً من النوم، هنا دخلت الدكتورة مارية وهي تبتسم وتقول: أخيراً قد عاد لنا مريضنا، وتنظر لنهى وتقول: علمت أن المريض زميل لنا، لأول مرة منذ أيام تبتسم نهى بسمة مجاملة وتقول: نعم، عاصم طبيب أيضاً ينظر عاصم لمارية ويقول لها شكراً لكِ دكتورة.
مارية: علامَ تشكرني؟ هذا واجبي، وتوجه الحديث لنهى وهي تقول: أريحي حبيبك وارتاحي بعض الوقت، أنا هنا معه لأتابعه، لا تقلقي؛ فهو في أيدٍ أمين..
فعلاً كانت قد أوشكت على الانهيار من عدم النوم؛ فاستجابَتْ لطلبهما سريعاً، واستلقت على سرير في نفس الغرفة بجوار والدته، تجلس مارية بجوار سرير عاصم، تتحدث معه بعض الكلمات حتى تزيل الوحشة منه..
تمر هذه الليلة منذ ليالٍ طويلة على نهى وهي تشعر بالراحة إلى أن تشرق الشمس، تستيقظ من نومها على صوت الطبيبة؛ فتذهب بجوارها لتسألها عن حالته، تطمأنها وتقول لها الخطر قد زال عنه لا تقلقي، ينظر لها عاصم وهي ممسكة بيدها ويقول لها: هل سمعتِ؟ لا تقلقي، أنا بخير، تملس بيدها على شعره وتقول: حسناً، سوف أذهب إلى البيت لأحضر لك بعض الملابس النظيفة والطعام وسأعود سريعاً، لن أتأخر عليك..
يقول لها: اذهبي حبيبتي؛ فوالدتي هنا، ولكن لا تتأخري علي...
تنظر لهما مارية وتقول: أنا أيضاً قد آن وقت ذهابي؛ فابنتي تنتظر عودتي.
تنظر لها نهى..
-هل لديكِ ابنة؟ أنتِ مازلتِ صغيرة!
تبتسم مارية بسمة تكاد تكون حزينة وتقول..
-عندى ابنتي ريمة خمس سنوات ثم تستأذن منهم وترحل....
حقائق صادمة
تتوجه نهى إلى المنزل، وفى هذه الأثناء يحضر عمر بصفته محققاً ليأخذ أقوال عاصم، بعد أن اتهمه هاني بقتل والده.
يطرق باب الغرفة ويدخل ليجلس بجوار عاصم وهو يقول له.. كيف حالك اليوم؟ لقد كنا نموت من الخوف عليك..
يبتسم عاصم ويقول: الحمد لله، ومن أجلكم أعاد الله لى حياتي.
يمسك عمر بيده ويقول له: جئتك أولاً لأطمئن عليك، وثانيا بصفتي محققاً فرجاءً ألا تُخفي عني شيئاً حتى نستطيع إخراجك من هذا المأزق.
هنا قد أفاقت والدته من النوم، توجهت مسرعة إلى عمر وهي تقول: أى مأزق يا حضرة المحقق؟ ابني هو المجنى عليه ..

يقوم عمر من على كرسيه ويقول لها: تفضلى بالجلوس يا أمى ..لقد أمسكنا بهاني ثم يطأطأ رأسه، ويعود ويقول: ولكن للأسف قد اتهمه عاصم بقتل والده..
الأم يتغير لون وجهها ويتحول إلى الشحوب، تنظر برعبٍ إلى ابنها وتحتضنه وهي تقول: لا، ابني لم يقتله، أنا من قتله.
يقاطعها عاصم بصوتٍ واهن ويقول: لا تتكلمي يا أمي، نعم أنا قتلته.
ذهول من عمر وينظر للكاتب الذي يكتب أقوال عمر، ويتمنى لو كان يقول له لا تثبت هذا!!
ثم يقول: دعوني أفهم منكم رجاءً من القاتل هنا ولماذا قتلتموه؟
يجيبه عاصم .أنا سأقول لك لماذا قتلْته، ويمسك بيد أمه بقوه وكأنه يشد من أزرها..
والد هاني الأستاذ جمال كان صديقاً لوالدي، ولكنه للأسف خدعه وجعله يوَقِّع له على أوراقٍ تسلبه جميع أملاكه منهم: الفيلا التي قُتل بها والفندق الذي كنت أعمل به لديه..
ينظر عمر له في ذهول من هذه الحقائق، ويقول له: أكمل يا عاصم!
وأنا أبحث في أوراق والدي منذ شهورٍ قليلة، وجدت هذه الاوراق؛ فذهبت بها إلى والد هاني لعلنى أسترد ما أخذه منا، ولكنه رفض فهددْتُه بمسدس، كان مجرد تهديد فقط، ولكنه حاول أخذ المسدس مني، فخرجَتْ رصاصة قاتلة في صدره، فلاقى حتفه في الحال..
يسأله عمر: في أى ساعة كانت هذه الواقعة؟
يجيب عاصم: كنا منتصف ليلة الجمعة، ليلة زفافك أنتَ وسعاد..
يتعجب عمر ويقول: ولكنك كنْتَ معنا في الحفلة، أنا رأيْتك عندما أنقذْتَ قالب الحلوى من الوقوع!!
يجيب عاصم: نعم، كان هذا قرب انتهاء الحفلة، كنْتُ قد عدْتُ من موقع الجريمة.
يقول له عمر وهو في حالة من الحزن: يجب أن توقعَ على هذه الأقوال، وسوف تكون تحت الحراسة لحين شفائك وانتهاء التحقيق، وكذلك يجب عليك أن تتحدث مع محامٍ.
يوقع عاصم ويداه ترتجفان، ووالدته بجواره تكاد تنهار ولا تعلم ماذا تفعل لتنقذ ابنها.
يطلب عمر من الكاتب الانتظار بالخارج ثم يقول لعاصم وهو يربت على يديه:
-هل سوف تبلغ نهى وعمي بهذه الأخبار؟ أم تريد منى ان أخبرهم أنا؟
تسقط دمعه من عين عاصم لم يستطع التحكم بها، يقول بصوت يكاد يكون مسموعاً: نعم يا عمر، أخبرْهم أنت، ولا تدع نهى تأتي إلى هنا مرة ثانية، وهذا رجاء مني، أخبرها أنني لم أتمنَ أبداً أن أكون سبباً في ألم قلبها، أخبرها أنني أحببتها حتى كاد الحب ينتهي من العالم، أخبرها أنها لو اقتلعت قلبى لوجدتها به وحدها ثم يغمض عينيه وكأنه يشعر بألم قائلاً:
أخبرها يا عاصم أنني لا أستحقها، واستحلفْها بالله ألا تحزن.
لم يتمالك عمر نفسه من كلمات عاصم، احتضنه كما لو كان أخاه وبكى بصوتٍ كاد الكاتب أن يسمعه وقال له:
سوف أخبرها يا عاصم ولن نتركك جميعاً، أعلم أن هناك شيئاً ما خطأ، سوف أخبرها.
يخرج عمر وهو حائر، لا يعلم هل وجد حلاً للجريمة أو أن لغزاً جديداً قد بدأ للتو؟
تتوجه الدكتورة مارية إلى منزلها
تفتح باب شقتها بلهفة، تجد ابنتها الرقيقة في انتظارها، تفتح لها ذراعيها، تأخذها في حضنها وتقول: كم اشتقت لكِ يا صغيرتي!
تداعب الصغيرة شعر أمها الأسود الذي ينساب على ظهرها وتقول لها: لماذا تأخرتي هكذا؟ انا

وجدتي قد قلقنا عليكِ كثيراً، وهاتفك كان مغلقاً.
طبعت قبلة رقيقة على خدها..
–أعتذر منك يا صغيرتي، كان لدينا شاب في حالة تستدعي تواجدي، وتبتسم بحنان.. وها أنا قد عدت لا تقلقي، اين جدتك؟
-إنها في المطبخ، كانت تعد لي كوباً من الحليب.
-حسناً، هيا لنذهب لها!
-صباح الخير يا أمي، وقبلة رقيقه على جبينها.
-صباح الخير يا ابنتي، قلقنا عليكِ كما العادة، وبسمة حنون... هيا بدلي ثيابك حتى أجهز الإفطار لنا.
تدخل ندى غرفتها وتنظر في صورة لشابٍ يرتدي الزي الميري وتقول: كم أشتاق لك يا باسل! تركتَني دون وداع اليوم، داعب قلبي شعورٌ غريب وأتمنى ألا يكون صادقا، كم أحتاج إليك!
تلمس الصورة بيدها وكأنها تشعر بملمس وجه زوجها الشهيد، ترتمي على سريرها لترتاح من إرهاق ليلة أمس...
حقائق مؤلمة
يتوجه عمر إلى منزله وهو في حالة من الصدمة، يخبر سعاد بما حدث وهي تكاد لا تصدق، يطلب منها أن يذهبا لإخبار نهى ووالدها كي تكون بجوار أختها، نهى ترتدي أجمل ما لديها من ثياب، تكاد تنتهي هي وأمها وأخت عاصم التي تقيم لديهم لحين عودة أخيها وأمها من تجهيز الطعام الذي أعدوه من أجل عاصم.
يطرق عمر الباب، تهرول نهى لتفتح الباب وتقول: أهلاً عمر، أهلاً سعاد، أتيتم لتقلوني معكم! نكاد ننتهي.
يمسك عمر بيدها ويقول لها: أريدك وعمي يا نهى.
تتغير ملامح نهى، فتترك يد عمر وهي تقول: ماذا بكما؟ لمَ وجوهكما متجهمة هكذا؟ إياكم وأن تخبروني أن مكروهاً قد أصاب عاصم!
تقاطعها سعاد وهي تحتضنها: لا لا يانهى، عاصم بخير لاتخافي.
تقول نهى: إذاً لماذا تريدوني وأبي؟ ماذا يحدث؟
يقول عمر: ستعلمين يا نهى، تعالي معى في غرفة عمي.
يستأذن بالدخول، يرحب بهم والدها: أهلاً يا عمر أهلاً سعاد، تعالي هنا.
نهى: تحدث يا عمر رجاءً.
ينظر والدها... ما الأمر يا عمر؟
-إنه بخصوص عاصم يا عمي.
تقاطعه نهى بصوت حزين..
-ألم تقلْ أنه بخير؟ نعم يا نهى بخير ولكـ... ويصمت..
والدها: ولكن ماذا يا عمر؟ تكلم يا ابني، يكفى كل هذا التوتر.
-لقد قمْنا بالتحقيق مع هاني الذي أطلق النار على عمر.
نهى: وما المشكلة؟ مؤكدٌ أنكم سوف تحققون معه.
والدها: لا تقاطعي زوج أختك يا نهى، دعيه يكمل حديثه، تربت عليها سعاد والحزن يعتصرها:
-أكمل يا بني، ماذا وجدتم؟

-للأسف يا عمي، قد اعترف هاني بإطلاق النار، ولكن اعترف أيضاً أن سبب رغبته في قتل عاصم أنه هو من قتل والده.
ترتمى نهى على الكرسى وهي تقول: لا، لا أصدق هذا، عاصم لا يستطيع أن يقتل أحداً، إنه كاذب؛ يقول هذا حتى يفلت من العقاب.
يقول عمر: للأسف يا نهى كنت أعتقد هذا أنا أيضاً، ولكني ذهبت للتحقيق مع عاصم، ولم ينكر الجريمة، لقد اعترف بها.
نهى تصرخ: لا، لا أصدقك، جميعكم تكذبون عليَّ، عاصم لا يقتل.
تحتضنها سعاد وتقول لها: لا أحد يكذب هنا يا نهى، عاصم اعترف فعلاً.
-لا يا سعاد، أنا أعرف عاصم جيداً، لا يمكنه أن يقتل أبداً.
تسرع نحو الباب لتجد أخته منهارة على الباب لما سمعته عن أخيها، تحتضنها نهى ويبكيان بشدة وتقول لها: عاصم بريء، أنا أعلم هذا، سوف أذهب إليه.
يمسك عمر بها: لن تذهبي إليه يا نهى، لقد طلب عاصم مني أن أمنعك؛ فهو ليس راغباً في أن تريه في هذا الموقف.
-اتركنى يا عمر، كيف لا أكون معه الآن؟ كيف أتخلى عنه وهو في حاجه لي؟
ينظر والدها لها بحزن ويقول: اذهب معها يا عمر لتكون بجوار زوجها؛ فهو يحتاجها الآن.
يقول عمر: ولكن يا عمي، هذه رغبة عاصم!
يقول والد نهى بصوت حازم: قلت لك خذها لزوجها الآن يا عمر.
يذهب معها عمر إلى عاصم، تهرول نهى عند دخولها من باب المستشفى وصولاً لغرفة عاصم، وتتصلب قدماها على الباب ويداها، تمسك بقبضة الباب وكأنها التصقت بها وعيونها تحارب الدموع حتى تظهر متماسكة ثم تدخل لتجد عاصم مرتمياً بحضن أمه ويبكى كما الأطفال، هنا ضعفَتْ هي الأخرى، احتضنته بشدة قائلة: أنا أعلم أنك بريء، أعلم انك لم تقبل على إيذاء أحدٍ أبداً.. ولكن لمَ يا حبيبي تعترف على نفسك بمثل هذه الجريمة البشعة من أجل من تود تركي وحدي؟ أرجوك تكلم، لا تصمت هكذا !
يرتمي على ظهره على السرير، يمسك رأسه ويصرخ: نعم، أنا قتلته.
تنظر له أمه في حسرة وتقول: لا يا بني، لم تقتلْه.
يصرخ بصوت أعلى حتى انهار وهو يقول: اصمتي يا أمى، أنا قتلْته ..
يسرع عمر لطلب طبيب لتهدئته، يأمر الطبيب بخروج الجميع ويعطيه حقنة مهدئة، ينام ولا يشعر بأحد، يمنع الطبيب أى أحد من البقاء معه حتى لا تسوء حالته أكثر، ويتصل بالدكتورة مارية لتتابع تطورات حالة مريضها..
تفوق مارية على صوت هاتفها بعد مالا يقل عن ساعتين من النوم، تأخذ أمها الهاتف وهي تقول: أكملي نومك ابنتي، فأنتِ لم تنامي منذ أمس، تبتسم مارية بسمة مُرهَقة وتقول: لعله أحدٌ يحتاج مساعدة يا أمي، أعطني الهاتف.
تقفز وهي تقول: كيف حدث له هذا؟ سوف أحضر حالاً.
تنظر لها أمها وتقول: ماذا حدث يا ابنتي.
-مارية: إنه أحد المرضى يا أمي في حالة انهيار عصبي، ويجب أن أتابعه الآن.
-الأم: ولكن لمَ كل هذا الاهتمام به؟ ألا يوجد طبيب غيركِ ليتابع حالته في عدم تواجدك؟
تبحث مارية عن كلمات ترد بها على أمها ثم تقول وهي ترتدي ملابسها مسرعة: إنه زميل لنا

يا أمي، سوف أحكي لكِ قصته عندما أعود، لا تغفلي عن ريمة واجعليها تتلو صلواتها رجاءً وإن احتجتم شيئاً، اطلبيه من البواب، سوف أخبره بأن يطلع لكِ..
تذهب مارية مسرعة إلى المستشفى، تسرع إلى غرفة عاصم لتجد نهى تجلس خارج الغرفة وتضع رأسها بين رجليها، سألتها مارية: ماذا حدث للدكتورعاصم يانهى؟ لقد تركْته في حالة جيدة.
ترفع نهى رأسها لتشاهد مارية وجهها وقد أغرقه الدموع، عندها جلست مارية بجوارها وضمتها لصدرها وهي تقول: لا تقلقي، سوف يكون بخير.
يتابع الجميع العاطفة التي دمجت بين مارية ونهى في تعجب ويقول والد نهى: رجاءً ألقِ نظرة على عاصم لنطمأن عليه.
مارية تقف وهي تقول: حسناً يا والدي، لا تقلقوا.
تدخل الغرفة وتتوجه لسرير عاصم، تقف بجواره صامتة ثم تقول بصوت هامس: ماذا حدث معك يا عاصم؟ كيف ساءت حالتك هكذا؟ ثم تتحسس نبضه وتفتح عينه برفق وتقول:
لا تذهب بعيداً، أنا هنا بجوارك. تجلس بجوار سريره وهي ممسكة بيده تتحسس نبضه.
****
على الجانب الآخر من مجريات التحقيق..
يتوجه عمر لوالده هو وسعاد، ويحكي له بالتفصيل، ويطلب منه الوقوف بجانب عاصم ويقول له: تعلم يا والدي أنني سوف أمثل النيابة ولن أرأف به..
يصمت الوالد وينظر لعمر وسعاد، ويقول: اتركوا لي أوراق القضية يومي،ن وبعد أن أطلع عليها وعلى أقواله في التحقيق، سوف أحدد إن كنْتُ سوف أقبلها أو لا، ويقول لسعاد: لا ترحلى حتى ننتهي من دراسة القضية جيداً.
تنظر له سعاد ولم تتكلم؛ فهي تعلم جيداً كيف يتعامل والد عمر كمحامٍ مع قضاياه، يذهب عمر إلى عمله، تغلق سعاد باب المكتب عليها وأستاذ محمد أبو اليسر المحامي وينهمكان في دراسة القضية..
ترتمي نهى في حضنها وهي تقول: إنى أشتاق إليه يا سعاد، هل لي أن أذهب إليه مرة ثانية؟
-لا حبيبتي، دعيه الآن ولا تغضبي منه؛ فهو يحبك يا نهى، وما يفعله هذا خوفاً عليكِ
-أعلم يا سعاد، ولكني حزينة لما وصلنا له، إنه لا يفارق خيالي ولو لحظة..
-إن كنتِ تحبين أن يعود لكِ عاصم، ساعديني..
تمسك بها نهى بقوة وتقول: وكيف أساعدك وأنا حتى لا أستطيع مساعدته؟
تبكى حسرة وتقول: ماذا أفعل لكي أساعده؟
-هل تتذكرين ليلة زفافي؟
-نعم يا سعاد، كان هذا أول لقاء لي وعاصم.
-أعلم حبيبتي، ولكني أسأل عن شيء آخر.
-ما هو؟
-كنتِ تلتقطي لعاصم الكثير من الصور، هل تعلمين أين هي؟
تمتد يد نهى إلى منضدة بجوارها، تمسك بألبوم وتقول: ها هي صور عاصم جميعها، لم تفارقني أبداً وتحتضن الألبوم برفق.
تقول سعاد: هل لي أن أستعيره فترة قليلة؟

تمسك نهى به بقوة وتقول: لا لن تأخذيه مني، فهذا ما تبقى لي الآن.
-لن آخذه يا نهى، ولكن لو كان دليل براءة عاصم في هذا الألبوم، هل تمنعيني من أخذه؟
تترك نهى الألبوم من يدها وتعطيه لها وهي تقول: كيف يا سعاد؟
تحتضنها وتقول: لن أستطيع أن أقول لكِ، لكن وعدٌ منى سوف أعيده لكِ قريباً، سوف أذهب الآن، هل تحتاجين شيئاً؟
-لا أحتاج إلا أن يعود عاصم لي.
-سوف يعود حبيبتي، لا تقلقي.
تخرج سعاد وتعود نهى لعالمها مع بصيص الأمل الذي أعطته لها سعاد في عودة عاصم..
يذهب الأستاذ محمد إلى عاصم ويقول له: هل تعلم أين كنت أنا الآن؟
-لا
-كنت في منزلكم.
يرتبك عاصم ومتسرعاً يقول: ولمَ ذهبتِ إلى منزلنا؟
-اجلس يا عاصم، لقد قابلْتُ والدتك وحكت لي كل شيء.
-والدتي لم تقتله.
أعلم أنها لم تقتله.
يبتسم له: نعم، لم تقتله يا بني.
-أعلم بني، ولكن مازالت هناك مشكلة.
-ما هي؟
يجلس معه ويتحدثان حديثاً مطولاً ثم يقول له:
-حسناً يا بني، سوف أتركك الآن، سوف نلتقى بعد غد أمام القضاء.
على الجانب الآخر يتم استخراج أمر باعتقال عاصم، بعد أن تم شفاؤه وإيداعه الحجز لحين عرضة على القضاء.
المرافعة
تسود الكآبة منزل عاصم ومنزل نهى، تبدلَتْ أجواء الأفراح والضحكات التي كأنت تملأ المنزلين إلى دموع وخوف من الغد.
حتى أتى اليوم الذي ينتظره الجميع، ورغم خوفهم منه تقف نهى خلف شرفتها، تنظر لنافذة عاصم.
وفى قاعة المحكمة، يقف عاصم خلف القضبان متهماً بقتل الأستاذ جمال رجل الأعمال ووالد هاني، ويجاوره هاني متهماً بمحاولة قتل عاصم.
وفى القاعة يتواجد كل من والد نهى، ووالدة عاصم، ونور أخته، ومارية طبيبته، وبعض من معارف عاصم، وهاني ضيوف للاستماع.
يدخل القاضي وهيئة المحكمة والنيابة التي يمثلها عمر إلى القاعة، يتقدمهم حاجب المحكمة بصوته المرتفع: محكمة
جميع من بالقاعة يقف احتراماً لهيئة المحكمة، تبدأ المحاكمة ويتقدم كل من الأستاذ محمد أبو اليسر ومحامي هاني الذي عينَته له النيابة للدفاع عنه للتعريف عن أنفسهم، وتبدأ النيابة التي يمثلها عمر بعرض القضية فيقول: نحن هنا اليوم لنقتص من قاتل لا يستحق الرحمة؛ فقد قتل صديق والده بلا رحمة، وليس هذا فقط، بل قتل من مد له يد العون بعد أن فقد والده وتحمل

نفقات دراسته في كلية الطب، وفوق كل هذا قد قتل والد صديقه اليوم، يجب أن تقتص العدالة من هذا القاتل، لا يجب أن يشفع له شئ؛ فهو مثالٌ للشاب عديم الضمير الذي تخلى عن جميع القيم والمبادئ، فكيف لطبيبٍ أقسم اليمين بأن تكون يداه تداوي كل من تألم وتسعف كل مريض -حتى ولو كان عدوه- كيف له بأن يقوم بهذا الجرم الذي نهانا عنه الله ورسول في قول الله تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً) صدق الله العظيم، فلا تأخذكم به رحمة ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب.

يطلب الأستاذ محمد من هيئة المحكمة، طرح بعض الأسئلة على الشهود ويبدأ بهاني ابن القتيل يسمح له القاضى ويطلب من هاني حلف اليمين وهو خلف القضبان.

يسأله الأستاذ محمد:

-ماذا كنت ترتدي لحظة وقوع الحريمة؟

-كنت أرتدي جاكت بدلة..

يسأله عن لون الجاكت ؟

-يجيبه: كان أسود..

ثم يسأله: أين هو هذا الجاكت الآن؟

ينكر هاني عدم معرفته بمكانه..

يسأله: من تتهمه بسرقة خزانة والدك؟

يقول: سرقها عاصم.

يصمت هاني ثم يسأله: إذا كان عاصم قد قتل والدك وسرق الأموال، لماذا لم تبلغْ عنه؟ ولماذا حاولت قتله؟

يصمت هاني مرة أخرى..

يطلب الأستاذ محمد إثبات كلمات هاني..

يطلب الأستاذ محمد طرح الاسئلة على عاصم. يوافق القاضي ويجعله يحلف اليمين

يسأله أستاذ محمد: هل أخفيْتَ هاني لديك في العيادة في حين كانت الشرطة تبحث عنه؟

هنا يقف محامي هاني ويعترض على السؤال، ولكن المحكمة لا تقبل اعتراضه وتطلب من عاصم الإجابة:

يقول عاصم.. نعم أخفيْتُه في العيادة.

يسأله: لماذا أخفيْتَه ألا تعلم أن هذا يعتبر عرقلة للشرطة؟

أعلم، ولكن عاصم كان مصاباً بوخز سكين وكصديق وواجبي كطبيب، ألزمني بسرعة إسعافه، لم أفكر في الأضرار في هذه اللحظة.

جميع من في القاعة يتعجب من إجابة عاصم.

ويقاطعه ممثل النيابة وهو يقول في سخرية: يا للعجب! وأين كان واجبك كطبيب عندما قتلْتَ والده؟

يجيب عاصم: أنا لم أقتل أحداً.

يتدخل أستاذ محمد ويطلب من هيئة المحكمة عدم مقاطعة النيابة له أُثناء استجواب المتهم، توافق المحكمة وتطلب منه إكمال الاستجواب..

يسأله: ماذا كنْتَ ترتدي وقت وقوع الجريمة؟

يجيبه: قميصاً زهرياً.
هنا يقاطعه محامي هاني، وطلب استجواب المتهم، توافق المحكمة..
يسأل عاصم: هل لو سألتك ماذا كنت ترتدي من يومين الساعة الثالثة ظهراً، سوف تتذكر؟
يعترض الأستاذ محمد على السؤال، ولكن المحكمة ترفض وتطلب من عاصم الإجابة.
يجيب عاصم: لا، لن أتذكر..
يكمل محامي هاني: إذاً كيف تذكرت قميصاً كنت ترتديه منذ شهور طويلة مضت؟
يجيب: لأن في نفس هذا الوقت كانت مناسبة لا تنسى..
ما هي؟
-كان زفاف أخت حبيبتي، وكنت اشتريت هذا القميص يومها لأن حبيبتي سوف تراني به، فأحببْتُ أن يترك انطباعاً لديها..
محامى هاني مسرعاً: من هي حبيبتك؟
يعترض محامي عاصم وتقبل المحكمة اعتراضه..
يطلب الأستاذ محمد من المحكمة استدعاء أم عاصم للشهادة..
توافق المحكمة، تعتلى أم عاصم منصة الاستجواب وتحلف اليمين
يسألها وهو ممسك بكيس أسود ويُخرِج منه جاكت
-هل تعلمين لمن هذا الجاكت؟
-نعم، إنه لهاني!!
أصوات الحضور في المحكمة ترتفع، يطرق القاضي طرقة أسكتتهم جميعاً، ويكمل أستاذ محمد استجوابه..
-كيف علمتِ أنه لهاني؟ وهل لنا أن نستمع لكل ما تعلميه عن هذا اليوم؟
والدة عاصم تجيب بصوت يملؤه المرارة والخوف من المصير المجهول وهي تقول:
-سوف أروي لكم جميعاً منذ بداية معرفتنا بوالد هاني.
كان الأستاذ جمال الصديق المقرب لزوجي منذ الدراسة، وكان من عائلة بسيطة، وعندما أكرم الله زوجي وأعلى شأنه، ضمه إليه في عمله -ليس مشاركة، لكن كمدير أعماله ويعلم عنه كل شئ في عمله- ذات يومٍ تأخرا في العمل، فعرض زوجي عليه توصيله لمنزله، وهما في الطريق، ظهر رجل فجأة في عرض الطريق، لم يستطيع زوجي تفاديه فصدمته السيارة، أوقف السيارة وأسرع لإنقاذه، لكن الأستاذ جمال منعه وقال له: لعله لقي حتفه! وإن حدث هذا، فلن يصدقك أحد ولن يرحمك القانون، وسوف تُدان بجُرم قتلِه، انظر لأسرتك! ماذا سوف يكون مصيرها إن سجنْتَ؟
وفعلاً قد خاف زوجي، ولكن صمم أن ينزل من السيارة ويرى الرجل لعله مازال على قيد الحياة، اقترب منه وتحسس نبضه، وجده قد فارق الحياة، حمله إلى جانب الطريق، وطلب له النجدة ثم هما بالذهاب بعيداً عن المكان، طلب منه الأستاذ جمال عدم إخباري..
وعندما عاد زوجي إلى المنزل، كان في حالة سيئة، سألته فحكى لي كل ما حدث؛ لأنه كان كما الطفل خائفاً وكان يتمنى أن يجد الأمان عندي أو يسمع منى كلمته أن ما فعله هو الصائب..
لكنى غضبْتُ وطلبْتُ منه أن نذهب للشرطة وسوف تتفهم، ولكن الخوف كان قد سيطر عليه وتملك منه فرفض وبشدة، ولم نتكلم على هذا الموضوع أو نفتحه، لكن حياتنا تغيرَتْ وتغير حال والد عاصم؛ فأصبح يهمل عمله وترك كل شيء للأستاذ جمال لثقته به، وتعود أن يرتاد

البارات ويشرب كل ما يجعله يستطيع النسيان، كان يحاول أن ينسى هذا الجرم الذي أجبره عليه صديقه..
وفى يوم كان أكثر شؤماً، طرق بابنا الأستاذ جمال ليخبرنا بحدوث ذبحة صدرية لزوجي توفى على أثرها، بعدها أصبح يهتم بنا وبأعمال زوجي، إلى أن أتى يوم تودد لى به وطلب الزواج مني، وحينما رفضت، فألقى على مفاجأة قد تصل بي إلي زوجي؛ وهي أن زوجي قد تنازل عن جميع أملاكه له وأظهر لى الأوراق التي تدل على هذا، تركْنا الفيلا التي كنا نسكنها، ذهبنا إلى هذا الحى البسيط الذي نحن به الآن وأخبرت أولاًدى أننا خسرنا كل شيء بعد وفاة والدهم في البورصة.
عندما انتقلنا، حضر إلينا وعرض عليَّ دفع مصاريف عاصم كاملة وجميع ما يلزم نور ولعدم مقدرتي على التصرف أو جلب أموال، تقبلت الأمر؛ فهي أموالنا، وفي يومٍ ما كان عاصم يبحث في أوراق والده، وجد ورقة تدل على تنازل والده بجميع أملاكه لوالد هاني، عندها كان منزعجاً جداً وأراد أن يذهب له ويواجهه، فتحدثت معه، وهدأته، وطلبت منه أن ينتظر بعض الوقت، وجاء موعد زفاف ابنة جارنا، وكنت مريضة؛ فلم أستطعْ الذهاب، ذهب عاصم ونور، وجدت أن هذه فرصة لذهابي للأستاذ جمال؛ لعلي أستطيع إقناعه بإرجاع بعض ممتلكاتنا، اتصلت به وأخبرته أنى ذاهبة إليه، ونسيت هاتفي في الشقة..

استقبلني وجلست، وعندما عرف لماذا أتيت لزيارته، قال هل تعلمين أنني فعلاً كتبْتُ لكم كل شيء دون أن تأتي؛ فأنا مريض (بالكنسر) وهذا عقابٌ من الله وأتمنى أن تسامحونني...
كنت مذهولة من حديثه وأكاد لا أصدق، كاد قلبى يتوقف ولكن فجأه ظهر هاني وهو يصيح في والده ممسكاً بمسدس ويقول: ماذا تقول؟ لا حق لك في أن تسلبني كل شيء، سوف أقتلك قبل أن تفعل هذا، حاول والده تهدئته، ولكن خرجت رصاصة نفذت إلى قلبه.
أخذْتُ المسدس من هاني، وانحنيت علي والده لأرى ماذا حدث، وجدْتُه قد فارق الحياة، أخذ هاني مفاتيح من جيب والده وهرول إلى غرفة مكتب والده.
فجأة دخل عاصم، لا أعرف كيف علم بتواجدي هناك! وجدني ممسكة بالمسدس، حاولْتُ أن أوضح له، ولكنه لم يستمع لي، حاول إنقاذ والد هاني، ولكن وجده قد فارق الحياة، توتر فنزفت أنفه، وبعدها طلب مني أن نرحل، ولكن كانت رأسي تملؤها الأفكار والقلق؛ هل سوف أترك ابني يضيع مثلما ضاع والده من قبل؟ فأخرجت مناديل من حقيبتي ومسحت جميع البصمات وأخذت المسدس وهممنا بالخروج، عندها لم يسمح لنا هاني بالخروج وأخرج سكيناً من جيبه وحاول طعن عاصم، فوجهت له المسدس لتهديده ولكن عاصم وهو يدافع عن نفسه طعنه بالسكين.
ولم يتركه، بل حمله، واستدعيْنا تاكسي، وذهب به إلى العيادة وأسعفه..
أعطيت عاصم ملابس لهاني حتى يبدل ملابسه التي كانت عليها دماء، وفعلاً أعطاها لعاصم وأحضر لي ملابس هاني كي أتخلص منها، وكان هذا الجاكت الذي احتفظْتُ به خوفاً من حدوث أي شيء.
الجميع ينظر في تعجب من هذه القصة المؤلمة، بعد الانتهاء طلبت المحكمة من أم عاصم النزول عن منصة الشهود..
ويتوجه الأستاذ محمد بسؤال لعاصم مرة ثانية..

عاصم! لماذا تركْتَ الزفاف وذهبْتَ إلى فيلا الأستاذ جمال ؟
يجيبه عاصم: والدتي كنا قد تركناها وهي مريضة، ذهبت لأطمأن عليها، لم أجدها فطلبتها على الهاتف لأعرف أين هي، ولكن وجدْتُ هاتفها في الشقة، نظرْتُ لآخر مكالمة؛ لعلني أعلم أين هي، ظننْتُ أنها قد تكون لدى جارتنا، ولكن وجدْتُ آخر مكالمة كانت صادرة منها لوالد هاني انتابني الشك، ذهبت سريعاً إلى هناك ووجدته قتيلاً كما قصَتْ والدتي..

الأستاذ محمد: هل ذهبت مرة ثانية إلى حفل الزفاف في هذه الليلة؟
-نعم ذهبت
يسأله: هل ذهبْتَ بنفس القميص؟
-لا، بدلْته وذهبْتُ، وكانت الحفلة قد أوشكت على الانتهاء.
ينظر الأستاذ جمال إلى سعاد بصفتها مساعدته، ويطلب منها ألبوماً كان بحوزتها
يأخذه، ويفتحه، ويتوجه به إلى هيئة المحكمة وهو يقول: وهذا دليل على صحة حديث عاصم، فها هو في بداية الزفاف يرتدى قميصاً زهرياً، وفى نهايته يرتدى قميصاً آخر .
ويكمل حديثه ويقول: وهذا فيديو يُثبت وقائع الزفاف على حضراتكم مشاهدته.

ثم يتوجه لعاصم ويسأله: هل رأيت من قتل الأستاذ جمال؟
-لا، لم أرى أحداً.
يريه الجاكت ويقول له: هل هذا الجاكت لهاني؟
-نعم، إنه لهاني..
يسأله عاصم: إن كان كما تقول قد أخفيْتَ هاني في عيادتك، لماذا عندما داهمَتْ الشرطة العيادة لم تجد له أثراً؟
يجيب عاصم: كان فضلاً من ربي فقط؛ فقد كان لدي موعد مع والد الفتاة التي أحبها لخطبتها، وقبل أن أذهب أحببت أن أقطع علاقتي بهذه القضية، فتوجهْتُ للعيادة وطلبْتُ من هاني الرحيل ونظفت العيادة خلفه، عندما حضرت الشرطة كان قد غادر.

يوجه الأستاذ محمد السؤال لهاني..
-إذاً يا هاني هل هذا الجاكت لكَ؟
يقف محاميه ويعترض على السؤال، ولكن المحكمة ترفض وتطالب هاني بالإجابة:
يجيب هاني في ارتباك: لا هذا ليس لي.
يقول الأستاذ محمد: هل أنت متأكد أنه ليس لك؟
-نعم
يطالب الأستاذ محمد باستدعاء الطبيب الشرعي لاستجوابه..
يتقدم الطبيب الشرعي إلى منصة الشهود ويحلف اليمين
يسأله الأستاذ محمد:
بعد أن حللْتَ الدماء التي على هذا الجاكت ماذا وجدت؟
يجيب الطبيب: وجدنا فصيلتين من الدماء؛ واحدة للقتيل والأخرى تعرَّفْنا عليها، بعد أن أخذنا عينة من هاني وعينة من عاصم لتحليلها..
-ولمن الفصيلة الأخرى؟

يجيب الطبيب: إنها فصيلة دماء هاني..
يتوجة الأستاذ محمد نحو منصة هيئة المحكمة، ويشير إلى كيس صغير يضعه على المنصة ويقول...هذا الحرز هو زرٌ وجده المحققون في يد القتيل كان متمسكاً به بقوة.
ثم يتوجه مرة ثانيه للطبيب ويسأله...هل علمتم إكان هذا الزر لهذا الجاكت أو أنه لأحد آخر؟
يجيب الطبيب: نعم، إنه لنفس الجاكت، به بعض الخيوط وبصمة لهاني..
يطالب الأستاذ محمد إثبات جميع أقوال عاصم ووالدته والطبيب الشرعي ثم يطلب استدعاء خادمة المجنى علية للشهادة، تتقدم الخادمة للمنصة وتحلف اليمين..
يسألها الأستاذ محمد: أين كنتِ وقت وقوع الجريمة؟
تجيب.. كنت في إجازة.
-من أعطاكِ هذه الإجازة؟
تجيب... الأستاذ هاني
يقول... ولكنكِ أثناء استجوابك في النيابة قلتِ أن ابنتك كانت مريضة! ما الذي جعلك تغيرين أقوالكِ؟
تقول.. كنْتُ خائفة، لقد أعطاني الأستاذ هاني مبلغاً كبيراً من المال، وطلب مني إن سألني أحد أقول أن ابنتي كانت مريضة..

ويتقدم الأستاذ جمال من المنصة ويلقى مرافعته..
اليوم لن أترافع عن الدكتور الشاب عاصم فقط. بل أترافع عن كل مظلوم أسكته صوت القوة بدون وجه حق، فى الماضي صمَتَ والده خوفاً من القانون، خوفاً من أن تندثر الحقائق صدم رجلاً، ولم يكن مخطئاً؛ فقد ظهر امامه من العدم، لو كان توقف لإنقاذه، هل كان سوف يتفهم القانون وضعه؟ أم أن مصيره سوف يكون خلف القضبان مثل الكثير من الأبرياء!
فضَّل أن يصمت، وتقبل ابتزاز صديق العمر له، تنازل عن جميع أملاكه فى مقابل ماذا؟
فى مقابل جهل القانون فى مجتمعنا، مات ذليلاً وترك أسرته بين براثن الصديق الماكر
ماذا كنتم تنتظرون من أسرة أكملت حياتها متسولة، بعد أن كانت ذات شأن فى المجتمع؟
ماذا تنتظرون من أمٍ تحملت الكثير لتحمي أولادها؟
ماذا كنتم تنتظرون من شابٍ أكمل حياته متسولاً ممن احتال على أموال والده؟
ما توقعكم لردة فعله عندما تنكشف له الحقائق؟
ورغم ذلك الدكتور الشاب الذي يقف أمامنا الآن خلف القضبان، لم يفكر فى ارتكاب جريمة ولم تسول له نفسه أن يقع فى الخطأ يوماً، كل ما كان يحلم به هو حياة كريمة وأن يجمعه الله بمن أحبها قلبه، هل هذا بكثير عليه؟ القانون ظلم والده، عندما أخافه وأضاع حقه في قول الحقيقة.
اليوم ونحن هنا ونعلم جميعاً أن هذا الطبيب الشاب بريء، هل سوف ينصفه القانون أم سوف يغفل عنه؟ لا أرى في هيئتكم الموقرة سوى العدل فلا تبخلوا به على هذا الشاب الذي أنهكته الحياة هو وأسرته، وأخيراً أترك لحضراتكم مصيره بين يدى الله أولاً ثم بين يدى العدالة المشَّكلة في هيئتكم الموقرة.
هنا يصرخ هاني من خلف القضبان وهو يقول: لم أكن أنوي قتله، كنْتُ أقوم بتهديده فقط
المحكمة تعمها الأصوات العالية، وأم عاصم تبكي بصوتٍ يسمعه الجميع، يطلب القاضى من

الجميع الصمت واحترام المحكمة، ويطلب من هاني أن يكمل، يقف محامي هاني في ذهول وصمت...
يقول هاني: لم أكن أنوي قتل أبي، سمعْتُ والدي يتحدث إلى والدة عاصم، لم أكن أعلم حتى بمرضه، فهو كان يعيش وحده دائماً، بعد وفاة أمي لم يشركني معه في شيء، والآن يريد أن يسلبني كل شيء دون أن ياخذ رأيي، حاولْتُ منعه ولكنه رفض، خرجت الرصاصة بدون أن أشعر
تركته غريقاً في دمائه وذهبت إلى الخزنه لأفتحها، وجدتها مفتوحة ولم أجدْ بها أوراقاً أو أموال، كدْتُ أُجَن، حاولت منع عاصم بسكينٍ صغير. ولكنه وجهه لي فأصابني.. بحثْتُ عن الأوراق في كل مكان ولم أجدها، خفْتُ أن يكون قد أعطاها لعاصم؛ فذهبت له أثناء زفافه وأطلقت عليه الرصاص، كنت أعتقد أنني سأفلت في هذا الزحام..
ثم ينظر لعاصم ويبكى وهو يقول: رجاءً سامحني، لم أقصد أبداً يوماً ما أن أُسبب لك ألماً
تُرفع المحكمة للمداولة والجميع في حالة من الذهول والترقب، تتوجه الدكتورة مارية إلى عاصم خلف القضبان وهي تبتسم وتقول له: لا تقلق، كل شيء سوف يكون بخير، وتهرول أخته نحوه وتحتضنه والقضبان تحيل بينهما، وتبكى وتقول: إن شاء الله سوف تخرج من أجلنا فجأة، تدخل هيئة المحكمة، يقف لها الجميع وتنطق حكمها ببراءة عاصم، وسجن هاني خمسة عشرعاماً بتهمة قتل والده الغير متعمد والشروع في قتل عاصم.
الجميع يهلل ويقول "لقد ساد العدل" وتتوجه الأم لشكر الأستاذ محمد، وتتوجه سعاد ووالدها إلى عاصم ليقدمو له التهنئة...
يخرج الجميع من القاعه فرحين وتتم إجراءات خروج عاصم في هذه الأثناء، يتوجه عمر إليه ويقول له: أرجو ألا تكون غاضباً مني على قسوتي، فهذا هو عملي؛ إظهار الحق ونصر العدالة يحتضنه عاصم وهو يقول: ولولا أنك جعلت الأستاذ محمد يتولى قضيتي، لكنت خلف القضبان الآن وأواجه حبل المشنقة، بل أنا من يشكرك..
عوده الحبيب
تمر الساعات وهناك على الجانب الآخر مازالت تهيم نهى مع خيالها، الدموع تُغرِق وجهها وتجلس على كرسيها خلف شرفتها وتمسك به بشدة، تنظر إلى نافذة عاصم، تجده واقفاً في النافذة، يلوح لها ويبتسم، تغمض عيونها وتتمتم بصوت حزين: متى سوف تعود يا حبيبي، تُرى يا عاصم أين أنت؟ وماذا تفعل الآن؟ أصبح كل شيء هو أنت، لم أعد أرى غير طيفك، تزداد حدة صوتها وهي تقول: أخاف أن أُجن، فها أنا تصيبني الهلاوس، ماذا أفعل؟
وها أنا أشتم رائحة عطرك في غرفتي ثم تضم يدها إلى صدرها وهي تقول.. من أجلى لا تتركني، أنت وعدتني بهذا، لا تخلف لي وعدك.
تسمع صوتٌ يهمس لها.. لن أخلف وعدي معكِ يوما أبداً.
تصمت في ذهول وتأخذ نفساً عميقاً ثم تستدير ببطء وخوف لتجد صاحب الوجه الرقيق يقف بجوارها، تقف ببطء وتتحسسه بيدها وعيونه تدمع ويقول لها: هذا أنا يا حبيبتي وليس طيفي، لقد عدت من أجلك، تحتضنه بقوة، لم تشر بوجود أسرتها وأسرته خلفهما وحتى لو كنت شعرت بهما، لاحتضنته ألف مرة وتشبثَتْ به، وكيف لا وهو حبها النقي وممتلك قلبه؟ فجأة انسابت يدها من حول عنقه وارتمت على الأرض من روعة المفاجأة، حملها ووضعها على سريرها وهرولت نور أخته لاحضار حقيبته الطبية من شقتهم ليسعفها.

فاقت من غيبوبتها ومازالت تتحسس وجهه ولا تصدق، يلتف الجميع حولها ليطمأنوها بأنه عاصم، أخيراً تتحول دموعها إلى بسمة وتحتضنه بقوة وهي تقول: أنا لن أتركك مرة ثانية وكيف لا وهي أصبحت زوجته؟
بعد ان تمالكت نفسها، جلس والدها بجوارها وهو يقول لها باسماً: هيا استرجعى قواكِ، سوف أعد لكم أجمل زفاف، سوف يتحاكى عنه الجميع.
ويقول عمر: وثوب الزفاف هذه المرة سوف يكون هدية منى لبراءة عاصم.
تمسك نهى بعاصم كالطفله وهي تقول: لا، لن أرتدى ثوب زفاف تلوثه دماء مرة ثانية، ولا أحتاج زفافاً، أنا أكتفى بعاصم؛ فهو دنياي وفرحتي..
تعم الفرحة أرجاء المنزل الذي نال منه الحزن ما يكفي، وذهبت نهى مع عاصم لشقتهم البسيطة الذي كان قد جهزها معا لحياتهما بعد أسبوع من الاستقرار النفسى للحبيبين، يطرق بابها شخصٌ غريبٌ، يستقبلانه في خوف وحذر، لقد كان محامي الأستاذ جمال والد هاني يحاول تقليل التوتر عنهما، ويخبرهما أنه كان في رحلة علاج، وأنه لم يستطعْ النزول أثناء المحاكمة، وأن الأستاذ جمال قد ترك شيئاً يخص عاصم.
انتبه له وهو يُخرج بعض الأوراق ويقول: هذه الأوراق تثبت ملكيتك لجميع أملاك أستاذ جمال إلا شركة صغيره للاستيراد تخص ابنه هاني قد أنشأها من أمواله الخاصة..
هنا تهلل وجه عاصم من السعادة ولم يتحكم في دموعه؛ فأخيرا قد عاد حقه. احتضن نهى وهو يقول: هذا أنا عاصم ياحبيبتي الذي لم تعرفينه من قبل..
تمت...

دماء على ثوب الزفاف..
هي رواية أدبية تقترب من خطوط التماس مع الواقع لتقدمه كما هو دون المبالغة أو القفز خارج تجارب الإنسان.
فعبقرية الرواية تكمن في سرد مكنون نفس القارئ، فهي له وعنه في نفس الوقت مع كسرها الجمود في النص وفتح آفاقٍ جديدة ليُعبر من خلالها القاريء، وليفتش داخل دهاليز نفسه عن الجمال ليعود إلى اكتشاف نفسه وفطرته من جديد.
فالرواية تبُث الأمل في النفوس، وتعود بنا من صراعات الحياة وقسوتها إلى الفطرة السليمة لنرى الأحلام مازالت ممكنة، فإن كانت الرواية تتصف بالواقعية، فهي أيضاً تعبر عن الأحلام الفطرية للإنسان، فهي مثابة يوتوبيا ممكنة تصفع الذين ذهبوا لها في أرضها.
ولأن الكاتبة تتصفُ بالتلقائية الشديدة والصفاء النفسي، استطاعت أن تكتب من خلجات نفسها لتقدم العبقرية في أبسط صورها.
فإذا كان الفلاسفة والمفكرون قد أعياهم البحث والتنقيب عن الحقيقة لتقديمها للإنسان بصورة تجعله يرى أجمل ويحيا أجمل ويفكر أجمل، فإن كاتبة الرواية استطاعت أن تكشف الحقيقة داخل نفسها وتخبرنا عنها، إذ تقول "طالما كان الإنسانُ طبيعياً مع ذاته، منسجماً مع فطرته، كان مثالياً دون تكلف، قوياً دون خطأ، محباً دون سقوط.
فنرانا رحلنا مع سعاد في رقتها وآمالها، ومع عمر في أحلامه وفطنته، ونهى في براءتها وحبها، وعاصم في حبه وشغفه وطهارته.
ثم تسير بنا الأحداث في إطارٍ رومانسيٍ هادئ؛ فنرانا نحلق معها في سماء دافئة من المشاعر لنكتشف عوالم جديدة لم نكن نراها من قبل.
ثم تجمعنا الخاتمة من شتات أنفسنا، لتعود بنا إلى الواقع؛ فتخفق قلوبنا مع عاصم في محنته حتى تنتهي بنا أخيراً إلى ما نريده ونصبو إليه، فنهتف ليبقى الحب والطهر والجمال ما بقى الإنسان، ولينتصر الجمال، وليمحقْ القبح، ولتبقَ الفضائل ما دامت الحياة.
خالد غازي..